كشف المُناسبات الخفية في القرآن الكريم

سورة البقرة أنموذجًا

إعـــــداد

د. هبة عوف عبد الرحمن سعد

مدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر

بنات القاهرة

يقول الإمام البقاعي:

"وعلى قدر غموض المُناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها"

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/١)

كشف المُناسبات الخفية في القرآن الكريم سورة البقرة أنموذجًا

هبة عوف عبد الرحمن سعد

قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر بنات – القاهرة– مصر

البريد الإلكتروني : hebaauf.2057@azhar.edu.eg

الملخص :

يهدف هذا البحث إلى كشف المُناسبة بين الآيات التي يوهم ظاهرها الانقطاع عن السياق القرآني في سورة البقرة، وقد اعتمد البحث على ثلاثة مناهج رئيسة وهي منهج الاستقراء بتتبع ما كتب حول كشف المُناسبات بين آيات سورة البقرة، ومنهج التحليل بتحليل الآراء، ومنهج الاستنباط؛ وذلك باستخراج المُناسبات الخفية في السورة، وقد توصلت من خلال البحث إلى أن الاتصال بين آيات القرآن الكريم مُتحقق لا محالة، لكنه يحتاج إلى مزيد من التأمل والتدبر خاصة في المُناسبات الخفية، كما استطعت من خلال هذا البحث أن أرد بعض الشبهات التي تُثار حول القرآن الكريم. وكان من أهم نتائج هذا البحث أنه بين أن عجائب القرآن الكريم لا تنقضي.

الكلمات المفتاحية: كشف . المُناسبات . الخفية . القرآن الكريم . سورة البقرة.

Revealing hidden occasions in the Noble Qur'an Surat Al-Baqarah as a model

Heba Auf Abdul Rahman Saad

Department of Interpretation and Quran Sciences - Faculty of Islamic and Arabic Studies, Al-Azhar University for Girls - Cairo - Egypt

Email: hebaauf.2057@azhar.edu.eg

Abstract :

This research aims to uncover the occasion between the verses whose apparent disengagement from the Qur'an context in Surat al-Baqara is delusional. The research has relied on three main approaches, which are the induction approach by tracing what has been written about revealing the occasions between verses of Surat al-Baqarah, the analysis method by analyzing opinions, and the deduction method. And by extracting the hidden occasions in the surah, and I have concluded through research that the connection between the verses of the Noble Qur'an is inevitably achieved, but it needs more contemplation and reflection, especially on hidden occasions. One of the most important results of this research was that it showed that the wonders of the Noble Qur'an do not expire.

Key words: Uncover - Invisibility - Occasions - The Holy Quran - Surat Al-Baqarah.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، قرآنا عربيًا غير ذي عوج لعلهم يتقون، أحمده تعالى على نعمه المتتاليات، وأشكره تعالى أن جعلنا في أمةٍ فضلت على سائر الأمم السابقات، وأنزل علينا كتابًا هو خاتم الرسالات، ومُبدع الهدايات، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للأنام محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الكرام.

أما بعد .. فإن أجل وأعظم ما يشتغل به الباحثون، وأشد ما يتنافس فيه المتنافسون دراسة كتاب الله، واستخراج وجوه إعجازه، وقد ابتلى القرآن الحكيم عبر العصور بأقوام ناصبوه العداء، وراسوا له النبال، وسددوا إليه السهام، فأثاروا حوله الشبهات، وأكثروا فيه من الطعن، ورموه بعيوب هو منها براء، وكان من أشد هذه الطعون اتهامهم القرآن بغيًا وجهلاً بالتناقض واضطراب التأليف، وتفكك الأغراض، لما قد يجدونه في القرآن الحكيم من بعض الآيات التي تخفى صلتها بسياقها الذي وردت فيه، وتلك شبهة يتنزه القرآن الكريم عنها؛ لأن نظم القرآن لا مثيل له على الإطلاق في الكتب والمُصنفات، لأنه نظم الحكيم الذي لا يتطرق إليه عيب، ولا ينبغي بعد تفقهه مادة لريب {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}(١).

وللمفسرين والعلماء من سلف الأمة وخلفها تصانيف عديدة في الكشف عن وجوه التناسب والارتباط بين آيات القرآن الكريم، إلا أنه لم يقم أحد – على حد علمي وبحثي – بجمع الآيات التي خفت مُناسبتها عما بعدها، أو توهم انقطاعها عن سياقها الذي وردت فيه، ويدق وجه ارتباطها به، مُحاولاً الكشف عن وجوه اتصالها، ورفع المقام عن أسرار إعجازها.

لذا عقدت العزم على أن أقوم بجمع بعض الآيات التي خفت مُناسبتها أو وقعت بين حديث مُتصل لم يخرج لمعالجة قضية جديدة، وأقوم بقراءة تلك

(١) سورة هود، من الآية ١.

الآيات قراءة مُتأنية مُحاولة البحث . دون تكلف أو اعتسافٍ ليس فقط عن وجه المُناسبة، بل عن مدى ارتباطها العضوي به، الأمر الذي تتأكد معه حقيقة أن هذه الآيات مثلها مثل بقية آيات القرآن في اتساق المعاني، فكل آية تجمعها وجه مُناسبة بما قبلها وما بعدها في صورة تحمل الكثير من دقائق المعاني وروائع الإعجاز.

وأما عن أسباب اختياري لهذا الموضوع فهي:

١. أن علم المُناسبات مُرتبط بالسياق القرآني، وهو أحد أهم وسائل ترجيح بعض الأقوال على بعضٍ في التفسير.
٢. أن خفاء هذا العلم على بعض الناس يؤدي إلى وقوع الالتباس والشبه في قلوبهم، وذلك أن هذا الكلام لا يستوعبه أي أحد، فهو كلام ليس كأي كلام، بل هو كلام الكبير المُتعال، الذي يحتاج إلى تأمل وإعمال عقل في تدبره وفهمه، ولم لا، فإذا كان كلام العلماء والمُثقفين لا يفهمه أي أحد، فكيف بكلام العلي القدير؟

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مُقدمة وفصلين وعدة مباحث وخاتمة مشفوعة بفهرس للمراجع وفهرس للموضوعات.

المُقدمة: تحدثت فيها عن موضوع البحث، والفكرة التي يقوم عليها بإيجاز وسر اختيار الموضوع وطريقة السير فيه.

الفصل الأول: علم المُناسبة دراسة نظرية، ويشتمل على مُبحثين:

المبحث الأول: تعريف المُناسبة وأنواعها:

المبحث الثاني: ترتيب الآيات والسور والوحدة الموضوعية للسورة القرآنية وأهميتها في كشف المُناسبات الخفية.

الفصل الثاني: كشف المُناسبات الخفية في سورة البقرة ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: الوحدة الموضوعية لسورة البقرة:

المبحث الثاني: مواضع خفاء المُناسبة في سورة البقرة.

الخاتمة: رصدت فيها أهم ما توصلت إليه من النتائج والتوصيات.

ثم ثبت بأهم المراجع وفهرس الموضوعات.

أما عن منهجي في هذا البحث فقد استخدمت بعون الله في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي الاستدلالي والمنهج الاستنباطي؛ وذلك لأني بحاجة إلى استخراج المُناسبات الخفية في سورة البقرة عن طريق البحث والتقصي والتأني والتدبر للوصول إلى كشف هذه المُناسبات، ويُمكن إجمال الإجراءات المتبعة في صياغة البحث على النحو التالي:

١. جمع واستخراج الآيات القرآنية الواردة في موضوع البحث.
٢. ضبطت بالتشكيل النصوص القرآنية، كما قمت بوضعها بين قوسين {...}، وعزوها إلى سورها، وإذا كان النص القرآني جزء آية أشرت إلى ذلك في الهامش بكلمة (من الآية).
٣. ميزت الأحاديث النبوية بوضعها بين قوسين (...) وتخريجها من مصادرها وبيان درجاتها إذا اقتضى المقام.
٤ـ أبرزت النصوص التي نقلتها من مصادر البحث ومراجعه تأييدًا لرأي أو لمناقشتها.
٥ـ حرصت على تدوين ما حوته كتب التفسير وغيرها من لآلئ وجواهر وتأملات عقلية لا تكون إلا لِمَنْ فتح الله عليه، رحم الله العلماء الأولين والآخرين على قدر ما أعطوه أو بذلوه من جهد وعلم.
٦. المحافظة ما أمكنني على موضوعية البحث، غير مُتأثرة بهوى، حتى يصل البحث إلى الحق الذي هو ضالة المؤمن.

وفي الختام، فلست أدعي أنني قلت الكلمة الفصل في هذا الموضوع، أو أنني سآتي بما أتى به الأولون . فضلاً . عما لم يأتوا به، غير أن الشأن في مجالنا هذا أو نحوه أن يستفاد من السابق، وأن نعرض مادته، ثم نستنبط منها.

والله ﷻ أسأل أن يكون معي يُلهمني الرشاد والسداد والحق، وأنا أتعرض بالحديث عن كلامه ﷻ، وأن يجعل هذا بدءًا مباركًا، وأن يُبارك في عملي، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم الدين.

والله المُستعان، وبه الهداية والتوفيق.

الفصل الأول
علم المُناسبات دراسة نظرية

توطئة:

لما كان موضوع هذا البحث بيان المُناسبات الخفية في القرآن الكريم، لزم أن نتكلم عن علم المُناسبات، حيث تعريفه وأنواعه وموقف العلماء منه، ليكون كالنبراس للقارئ.

ويشتمل هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف المُناسبة وأنواعها، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المُناسبة لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: أنواع المُناسبة في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: اتجاهات العلماء ومواقفهم من علم المُناسبات.

المبحث الثاني: ترتيب الآيات والسور والوحدة الموضوعية للسورة، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: ترتيب الآيات والسور.

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وأهميتها في كشف المُناسبات الخفية.

المطلب الأول
تعريف المُناسبة لغةً واصطلاحاً

التعريف بعلم المُناسبات، وفيه:

أولاً : تعريف المُناسبة لغةً:

يُقال: فلان يُناسب فلانًا، فهو نسيبه، أي قريبه، وتقول: ليس بينهما مُناسبة أي مُشاكلة[١]:

١. وجاء في مفردات الراغب: النسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين ... وقيل: فلان نسيب فلان؛ أي: قريبه[٢].

٢. وقال ابن فارس: النون والسين والباء: كلمة واحدة، قياسها اتصال شئ بشئ، منه النسب، سمي لاتصاله وللاتصال به، تقول: نسبت أنسب، وهو نسيب فلان ... والنسيب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض[٣].

وخلاصة القول: أن المُناسبة لغةً: هي المقاربة والمشابهة والمشاكلة.

ثانياً: تعريف المُناسبة اصطلاحاً:

١. عرفها الزركشي في برهانه فقال: المُناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول[٤].

٢. جاء في إتقان السيوطي أن المُناسبة هي ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة مُتسقة المعاني، مُنتظمة المباني[٥].

٣. وعرفها مصطفى مسلم بأنها: "الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[٦].

---

(١) ينظر: لسان العرب، مادة نسب (٣٣١/١).
(٢) المفردات في غريب القرآن مادة "نسب" (ص ٨٠١).
(٣) معجم مقاييس اللغة، مادة "نسب" (٤٢٣/٥ . ٤٢٤).
(٤) البرهان في علوم القرآن (٣٥/١).
(٥) الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي (٢٧٣/٣).
(٦) مباحث في التفسير الموضوعي للأستاذ/ مصطفى مسلم (ص ٥٨).

٤. عرف المُناسبة مناع القطان بقوله: وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المُتعددة، أو بين السورة والسورة[١].

ومن خلال هذا البيان الموجز في تعريف المُناسبة في اللغة والاصطلاح، نستنتج أن الارتباط وثيق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، ومن خلال هذا نقول: علم المُناسبات هو علم يبحث في الارتباط بين أجزاء الآيات، ويعني كذلك بترابط السور بعضها ببعض، مُبينًا ترابط معانيها، واتساق مبانيها، فكما يوجد ترابط بين النسب والنسيب، فكذلك بين الآيات والسور هناك ترابط وتناسق.

المطلب الثاني

أنواع المُناسبة في القرآن الكريم

من نظر في القرآن الكريم نظر تدبر وتفكر، علم أن للقرآن تناسبًا، وذلك يكون في:

أولاً :التناسب في السورة الواحدة، كتناسب اسم السورة ومضمونها، أو تناسب أولها مع أخرها، أو بين آياتها بعضها ببعض، أو تناسب حكمين في الآية أو الآيات داخل السورة.

ثانيًا:التناسب في السورتين، كتناسب فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها، أو التناسب بين مضمون السورة والتي تليها.

ثالثًا:مُناسبة عامة، وهي المُناسبات المطلقة في القرآن الكريم.

وهذا تفصيل ذلك:

أولاً : التناسب في السورة الواحدة:

١. تناسب اسم السورة ومضمونها، ومثال ذلك: سورة الكهف، فهذه السورة احتوت على بيان أربع فتن مما يتعرض له الإنسان، الأولى أم الفتن التي يمكن أن تواجه المؤمن، أو بعضها، وهي فتنة الدين وكيفية الخلاص

(١) مباحث في علوم القرآن للشيخ القطان مناع بن خليل (ص ٩٦).

منها، كما حصل مع أهل الكهف، وفتنة المال كما حصل مع صاحب الجنتين، وفتنة العلم كما حصل مع موسى عليه السلام والخضر، وفتنة السلطان، كما حصل مع ذي القرنين، فالمخرج من هذه الفتن هو المخرج والملاذ الذي يأوى إليه المؤمن عند الفتن، وهو اللجوء لله.

٢. تناسب أول السورة مع خاتمتها، ومثال ذلك: سورة الحشر، فبدأت بقوله: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}(١)، وختمت السورة بقوله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ}(٢)، ففي البداية تنزيه لله، وذلك قد وقع من كل مَنْ في السماوات والأرض، وفي خاتمتها "لما أعلى ﷻ أولياءه بأن فتح السورة بالإيمان بالغيب، وهو العزيز الحكيم بعد التنزيه عن نقائص التعطيل، وكل شائبة نقص، وينزل لعباده في أسباب الصفات والأفعال، إلى أن أوصلهم إلى محسوس الأمثال، فتأهلوا للفناء في ذاته، وما على صفاته الموجبة لخشيته، رقاهم إلى التفكر في تفصيل ما افتتح به"(٣).

٣. المُناسبة بين آيات السورة بعضها ببعض، ومثال ذلك: ما جاء في سورة البقرة قوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}(٤)، قال الرازي: أعلم أنه ﷻ وتعالى لما بين للمكلفين ما بين من معالم دينه، وأوضح لهم من شرائع شرعه – ما ذكر من أمر الطلاق – أمرهم بعد ذلك بالمحافظة على الصلوات؛ وذلك لوجوه، أحدها: أن الصلاة لما فيها من القراءة والقيام والركوع والسجود والخضوع والخشوع تفيد انكسار القلب من هيبة الله تعالى، وزوال التمرد عن الطبع، وحصول الانقياد

(١) سورة الحشر، الآية ١.
(٢) سورة الحشر، الآية ٢٤.
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي (٤٦٣/١٩).
(٤) سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

لأوامر الله تعالى، والانتهاء عن مناهيه، كما قال: {إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ}(١)، والثاني: أن الصلاة تذكر العبد جلالة الربوبية، وذل العبودية، وأمر الثواب والعقاب، فعند ذلك يسهل عليه الانقياد للطاعة؛ ولذلك قال: {اسْتَعِينُوا بْالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}، والثالث: أن كل ما تقدم من بيان النكاح والطلاق والعدة اشتغال بمصالح الدنيا، فأتبع ذلك بذكر الصلاة التي هي مصالح الآخرة(٢).

٤. المُناسبة بين حُكمين في الآيات، ومثال ذلك: ما جاء في سورة النور في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}(٣).

فبعد ذكر حكم الاستئذان، أتبعها بذكر غض البصر في قوله تعالى: {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}(٤)، فالاستئذان إنما جُعل لئلا يقع بصر المسلم على عورة، قال الشوكاني: لما ذكر ﷻ حكم الاستئذان، أتبعه بذكر حكم النظر على العموم، فيندرج تحته غض البصر من المُستأذن(٥).

ثانياً: التناسب بين السورتين:

١. المُناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها، ومثال ذلك: ما جاء في نهاية سورة الإسراء، في قوله تعالى: {وَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}(٦)،

(١) سورة العنكبوت، من الآية ٤٥.
(٢) مفاتيح الغيب للإمام الرازي (٤٨٢/٦).
(٣) سورة النور، الآية ٣٠.
(٤) سورة النور، الآية ٣١.
(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (٢٦/٤).
(٦) سورة الإسراء، آية ١١١.

وفي بداية سورة الكهف في قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا}(١).

قال الإمام البقاعي: لما خُتمت تلك بأمر الرسول ﷺ بالحمد عن التنزيه عن صفات النقص؛ لكونه أعلم الخلق بذلك، بُدئت هذه بالإخبار باستحقاقه ﷻ الحمد على صفات الكمال، التي منها البراءة عن كل نقص، مُنبهًا بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم الذي خضعت لجلاله العلماء الأقدمون، وعجز عن مُعارضته الأولون والآخرون، الذي هو الدليل على ما ختمت به تلك من العظمة والكمال، والتنزه والجلال(٢).

٢. المُناسبة بين مضمون السورة والتي تليها، ومثال ذلك ما جاء في سورتي الضحى والشرح، ففي الضحى ذكر للنعم الحسية، وفي سورة الشرح ذكر للنعم المعنوية(٣).

ثالثًا: مُناسبة عامة، وهي المُناسبات المطلقة في القرآن الكريم:

وذلك كما ذكروا ما افتتحت به سورتان بـ{يَا أَيُّهَا النَّاسُ}، نحو ما جاء في سورة النساء والحج، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}(٤)، وفي سورة الحج قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ}(٥)، ففي سورة النساء تحدثت عن بدء الخلق والحياة، وفي سورة الحج ذكرت بنهاية هذه الحياة.

وهناك نوع آخر من أنواع المُناسبة، وهو تقسيم المُناسبة إلى لفظية ومعنوية:

(١) سورة الكهف، آية ١.
(٢) نظم الدرر (٢/١٢).
(٣) المرجع السابق، (١١٥/٢٢).
(٤) سورة النساء، آية ١.
(٥) سورة الحج، آية ١.

فالمُناسبة المعنوية: هي أن يبتدئ المتكلم بمعنى، ثم يتم كلامه بما يناسبه من معنى دون لفظه.

والمُناسبة اللفظية: فتعني التشابه الظاهر في الكلام.

ومن أنواع المُناسبات: الظاهرة والخفية:

فالارتباط بين الجمل والآيات المُتجاورة المستقلة قد يظهر تارة، وقد يخفى أخرى، فيحتاج إلى تدبر:

١. فالمُناسبة الظاهرة أو الجلية: حين تكون الآيات إما: مُكملة لما قبلها، أو مؤكدة، أو مفسرة، أو مُتضمنة لاعتراض وتشديد، أو بدل ... الخ.

إذ الآيات الكريمة إما أن تكون ثانيهما مكملة لسابقتها، لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى، أو أن تكون الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير، أو الاعتراض والتشديد، وهذا القسم ظاهر الارتباط فيه.

يقول السيوطي: وهذا القسم لا كلام فيه[١].

ومراده: أن المُناسبة طالما كانت ظاهرة بينة، واضحة جلية؛ فلا معنى للكلام فيها.

٢. المُناسبة الخفية: حين تظهر كل جملة مستقلة عن الأخرى، وأنها خلاف النوع المبدوء به، وهذه الجملة التي تبدو مُستقلة إما أن تكون:

(أ) معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم أولاً، وفائدة العطف هنا جعلهما كالنظيرين والشريكين، وإذا كانت معطوفة: كان لابد بينهما من علاقة أو جهة جامعة، وقد تكون العلاقة بينهما:

- الاتفاق.
- أو المضادة وشبهه: وهذا كذكر الرحمة بعد ذكر العذاب، والرغبة بعد الرهبة، والسماء والأرض، والقرآن إذا ذكر أحكامًا ذكر بعدها وعدًا ووعيدًا؛

(١) الإتقان (٣/٣٧١).

ليكون ذلك باعثًا على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه، ليعلمهم عظم الآمر والناهي.

. أو تكون من باب الاستطراد.

. أو من قبيل التمثيل.

(ب) أو غير معطوفة: وهذه لابد فيها من قرائن معنوية، لابد من دعامة تؤذن باتصال الكلام، وتعلن عن الارتباط والتعلق والصلة، فكما كان العطف مزجًا لفظيًا، فهذا مزج.

المطلب الثالث

اتجاهات العلماء ومواقفهم من علم المُناسبات

لعلماء التفسير وعلوم القرآن مواقف متباينة من علم المُناسبة، وهذا بيان لاتجاهاتهم بإيجاز:

الاتجاه الأول: القائلون بعدم المُناسبة أصلاً:

ويُمثل هذا الاتجاه الشوكاني.

الاتجاه الثاني: اتجاه يقول بالمُناسبة في حال دون حال

ويُمثل هذا الاتجاه الشيخ العز بن عبد السلام حيث يقول: "المُناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر.

قال: ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ لا يحسن أن تربط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك والحكام وتصرف الإنسان نفسه

بـأمور متوافقـة ومُتخالفـة ومُتضـادة، ولـيس لأحـد أن يطلـب ربـط بعـض تلـك التصرفات مع بعض مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها"[١].

الاتجاه الثالث: القائلون بالمُناسبة:

يُمثل هذا الاتجاه جمهور المُفسرين والعلماء في هذا الموضوع وهم يرون أن هذا العلم قد خفي على كثير من المُفسرين لدقته، يقول الفخر الرازي في تفسيره: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، وقال بعض الأئمة: من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، لئلا يكون منقطعًا، وهذا النوع يهمله بعض المُفسرين أو كثير منهم، وفوائده غزيرة".، قال القاضي أبو بكر بن العربي في سراج **المريدين: "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة** المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلم يجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"[٢].

وقال الشيخ ولي الدين الملوي: "قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مُناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيبًا فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في اللوح المحفوظ مُرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شئ عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة: ما وجه مُناسبتها عما قبلها؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له[٣].

(١) الإتقان (٣/٣٧٠).
(٢) مفاتيح الغيب (١٠/١١٠).
(٣) الإتقان (٣/٣٧٠).

الاتجاه الرابع: القائلون بأكثر من المُناسبة:

أي القول بالنظام الذي تعتبر المُناسبة جزءًا من أجزائه وفرعًا من فروعه، ويُمثل هذا الاتجاه المعلم عبدالحميد الفراهي، ويقرب منه الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه (النبأ العظيم)، يقول الفراهي في معرض بيان الفرق بين المُناسبة والنظام: "قد صنف بعض العلماء في تناسب الآي والسور، وأما الكلام في نظام القرآن الكريم فلم أطلع عليه، والفرق بينهما: أن التناسب إنما هو جزء من النظام، فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئًا واحدًا مُستقلاً بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع بمُناسبة ما، وربما يعقل عن المُناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئًا واحدًا، وربما يطلب المُناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها، فإن الآية التالية ربما تكون مُتصلة بالتي قبلها على بُعد منها، ولولا ذلك لما عجز الأذكياء عن إدراك التناسب فأنكروه، فإن عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد كثيرًا، ومنها ما ترى فيه اقتضابًا بينًا؛ وذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات متصلة بالتي على بُعد منها، وبالجملة فمردانا بالنظام: أن تكون السورة كلامًا واحدًا، ثم تكون ذات مُناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتي قبلها أو بعدها على بُعد ما، كما قدمنا في نظم الآيات بعضها مع بعض، فكما أن الآيات ربما تكون معترضة؛ فكذلك ربما تكون السور معترضة. وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلامًا واحدًا ذا مُناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر، فتبين مما تقدم أن النظام شئ زائد على المُناسبة وترتيب الأجزاء"[1].

لكنني أرى أن المُناسبة أعم من النظام، وأن النظام أخص وأدق وأعمق، وأن المُناسبة إن لم تشمله وتتضمنه فهي أعم وأوسع.

(١) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان للشيخ عبد الحميد الفراهي، ص ٦٠، وينظر: مُناسبات الآيات والسور، أحمد حسن فرحات (٤٥/١٠).

المبحث الثاني
ترتيب الآيات والسور والوحدة الموضوعية للسورة القرآنية وأهميتها في كشف المُناسبات الخفية

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول
ترتيب الآيات والسور

أجمع أهل العلم على أن نظم القرآن الكريم وترتيب سوره وترتيب آياته دار السور أمر توقيفي لا خلاف فيه، حسبما يرى جمهور العلماء، وقد نقل هذا الإجماع غير واحد من أهل العلم، منهم الإمام الزركشي في البرهان وعبارته: أن ترتيب السور كلها توقيفي بتعليم الرسول ﷺ، كترتيب الآيات، وأنه لم توضع سورة في مكانها إلا بأمر منه ﷺ، والدليل على ذلك أن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان ولم يخالف منهم أحد، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف، لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمُخالفتهم(١)، وقال أيضًا: ترتيب الآيات في سور واقع بتوقيفه وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين(٢)، وقال الباقلاني: "ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: "ضعوا آية كذا في موضع كذا"، فجميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين الدفتين الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شئ، ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى ورتبه عليه رسوله من آي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر، ولا أخر منه مقدم"(٣)، وقال ابن الحصار: "ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، وقد حصل اليقين من النقل

(١) البرهان (٣٠١/١).
(٢) الإتقان في علوم القرآن (١٦٧/١).
(٣) الانتصار للقرآن القاضي أبو بكر الباقلاني البصري (٢٩٥/١).

المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله ﷺ، ومما أجمع الصحابة على وضعه في المصاحف"[١].

أما عن النصوص التي أفادت هذا الإجماع فهي من الكثرة بمكان، وحسبي أن أشير إلى شئ منها قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[٢]، وقوله جل في علاه: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[٣]،، وقوله جلال جلاله: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا}[٤]، وقوله ﷻ: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}[٥].

ومن السنة ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال: "كنت عند رسول الله ﷺ جالسًا، إذ شخص ببصره ثم صوبه حتى كاد أن يلزقه بالأرض قال: ثم شخص ببصره، فقال: أتاني جبريل عليه السلام فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}"[٦][٧].

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكة قال: قال ابن الزبير: قلت لعثمان هذه الآية التي في البقرة: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ}[٨]، قد نسختها الأخرى، فلم تكتبها؟ قال: تدعها يا ابن أخي لا أغير شيئًا منه من مكانه"[٩].

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي، ص ٧٩.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩.

(٣) سورة هود، الآية ١.

(٤) سورة النساء، من الآية ٨٢.

(٥) سورة القيامة، الآية ١٧.

(٦) سورة النحل، الآية ٩٠.

(٧) أخرجه الطبراني في مسنده، مسند الشاميين، حديث عثمان ابن أبي العاص، حديث رقم: ١٧٩٤٧، (٤٤١/٢٩)، الحديث إسناده حسن، الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب التفسير، باب سورة النحل، حديث رقم ١١١١٩، (١٣٦/٧).

(٨) سورة البقرة، من الآية ٢٤٠.

(٩) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة البقرة، حديث رقم ٤٢٥٦، (١٦٤٥/٤).

فترتيب الآيات توقيفي، ولا شبهة في ذلك، وما ورد فيه تعارض مع النصوص والآثار المنقولة . على قلته . إما منكر لا يؤته له، أو ضعيف لا يعتد به، ولا يقوم مقام الآثار الصحيحة التي تثبت توقيفية آيات القرآن الكريم.

ومَنْ يتدبر نظم القرآن الكريم ويتأمل ترتيب آياته يجده غاية في التناسب والإحكام والانسجام، فآياته متلاحمة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، كل آية تجمعها وجه مُناسبة بما تلته وما تلاها في صورة تحمل الكثير من دقائق المعاني وروائع الإعجاز.

لكن قد نجد آية أو أكثر تخفي صلتها بسياقها الذي وردت فيه، كقوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}(١)، فقد وردت هذه الآية في ثنايا الحديث عن أحكام الطلاق وكقوله تعالى: {اليَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}(٢)، وقع هذا الجزء من الآية بين الحديث الذي تضمن المحرمات: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنزِيرِ}، وبين الرخصة الواردة في هذا الشأن في قوله تعالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}، وكذلك قوله تعالى: {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}(٣)، فقد وردت هذه الآيات في ثنايا الحديث عن يوم القيامة، هذه الآيات وأمثالها مما تخفي فيها المُناسبة ويدق فيها وجه الترابط اتخذها أصحاب الباطل والمشككون في القرآن الكريم عبر العصور مدخلاً لإثارة الشبهات حول القرآن الكريم والطعن في أسلوبه وترابطه؛ ومن ثم، ادعاء تعرضه للتصرف البشري الذي هو في حقيقة الأمر نوع من التحريف والتبديل، فقديمًا زعم نفر من قدماء الروافض أن القرآن قد غير وبدل، وزيد فيه ونقص عنه، واحتجوا عليه بأنه لا مُناسبة بين قوله تعالى: {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

(٣) سورة القيامة، الآيات من ١٦ . ١٩.

بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} وبين ما قبلها، ولو كان هذا الترتيب من عند الله تعالى لما كان الأمر كذلك(١).

أما المستشرقون من أعداء الإسلام فلا يزالون يبثون سمومهم وينفثونها في وجدان أمتنا، ولا يدعون ثغرة ولا مدخلاً يشككون من خلاله في القرآن الكريم إلا سلكوه، فهم يريدون دائمًا زعزعة إيمان المؤمنين وإدخال الشك والريبة في قلوبهم.

فهذا هنري ماسي يرى "أن ترتيب سور القرآن وآياته إنما وضع بعد وفاة النبي ﷺ(٢) وادعى المستشرق الفرنسي بلا شير: "أن ترتيب القرآن في وضعه الحالي يبلبل الأفكار، ويضيع الفائدة من تنزيل القرآن، لأنه يخالف منهج التدرج التشريعي، الذي روعي في النزول، ويفسد نظام التسلسل الطبيعي للفكرة؛ لأن القارئ إذا انتقل من سورة مكية إلى سورة مدنية اصطدم صدمة عنيفة، وانتقل بدون تمهيد إلى جو غريب عن الجو الذي كان فيه، وصار كذلك ينتقل من درس في الحروف الأبجدية إلى درس في البلاغة، وقام جاك بيرك بترجمة القرآن الكريم، وأشار في مقدمة هذه الترجمة إلى أن هناك قضايا كثيرة أثارها المستشرقون فيما يخص بنية النص القرآني، أهو مصنوع أم منزل؟ ورأى أنه لم يتم الاهتمام في القرآن الكريم إلا بأطول سبع منه، ثم خلص إلى قوله: "ومع ذلك تتسع المسافة بين النزول والترتيب لدرجة التناقض"(٣)، ومن هذا المنطلق رأى نولدكة ضرورة ترتيب القرآن وفق ترتيب النزول، وقام بمُحاولة في هذا الصدد.

ولا شك أن كل هذه الشبه ساقطة لا تقوم على أي دليل، وأن القرآن الكريم منزه عنها، كما سيتضح في ثنايا البحث، فضلاً عن أن القرآن الكريم كلام الله جل جلاله، نزله وتولى حفظه وصيانته من الخلل والاضطراب

(١) مفاتيح الغيب (١٩٦/٣٠).
(٢) مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب: محمد البشير مغلي، ص ٢٤٨.
(٣) ينظر: القرآن وأوهام مستشرق لمحمد حسين أبو العلا، ص ١٣.

والتحريف والتبديل، فقال جل في علاه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(١)، وقال ﷻ: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}(٢).

ومُحاولة مني في دفع تلك الشبهات عن القرآن الكريم والذود عن حياضه والكشف عن بعض أسرار إعجازه.

المطلب الثاني

الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

وأهميتها في كشف المُناسبات الخفية

أولاً :الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية:

قد تخفي المُناسبة بين آية وآية في داخل السورة الواحدة، ووقتها يستعان للكشف عن المُناسبة بالسياق الكامل للسورة أو بالوحدة الموضوعية للسورة كلها حتى تظهر المُناسبة، وهو ما سنلاحظه في تطبيق هذا على سورة البقرة.

ولكن ما المقصود بالوحدة الموضوعية للسورة؟

تعارف المُفسرون الذين اهتموا بالمُناسبات على أن لكل سورة غرضًا أساسيًا، ومعنى محوريًا تدور حوله سائر معاني السورة، ويمكن تسميته بالمعنى الأم الذي تتولد عنه معاني السورة أو تتناسل وتمتد وتفترق كالروافد لتجتمع مرة أخرى.

يقول الشاطبي: "إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق أخره بأوله، وأوله بأخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد"(٣). ويُضيف الإمام البقاعي إلى هذا أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، ومقصود كل سورة هادٍ إلى تناسبها(٤)، ويُطبق هذا ابتداءً على سورة الفاتحة، إذ يرى أن الغرض الذي سيقت له هو إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال،

(١) سورة الحجر، الآية ٩.
(٢) سورة القيامة، الآية ١٧.
(٣) الموافقات: (٤١٢/٣ . ٤١٥).
(٤) راجع: نظم الدرر: (١٨/١ . ٢٠).

واختصاصه بمُلك الدنيا والآخرة، وباستحقاق العبادة والاستعانة وسؤال صراط الفائزين والإنقاذ من طريق الهالكين، ومدار ذلك: مراقبة العباد لربهم لإفراده بالعبادة، فهو مقصود الفاتحة بالذات، وغيره وسائل إليه.

واللافت أن المحور العام لسورة الفاتحة استنبطه الإمام البقاعي من معاني السورة، فهو مستنبط من فحوى تلك المعاني، وهذا يعطي منهجًا في استخراج المحور العام، فليس من اللازم أن يكون منصوصًا عليه، ولكن قد يستخلص من فحوى المعاني، ودلالتها على ذلك المقصد الأساس.

واستنباط المحور العام من فحوى معاني السورة ابتداء بصدرها وما يليه يحتاج إلى بصيرة وحسن تأمل وقدرة على الاستخلاص وتكوين الخلاصة، وهذا يستلزم استحضار أهم أغراض السورة والخيط الذي يربط بينها، فذلك يهدي إلى المحور الذي تدور حوله وهو الوحدة الموضوعية للسورة، فسورة البقرة مثلاً افتتحت بقوله سبحانه: {ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}[1]، ومَن يتأمل معاني سورة البقرة وسائر ما ورد فيها يجده دليلاً على كمال ذلك الكتاب، وأنه لا يمكن أن يتطرق إليه شك، وأنه هدى للمتقين، فذلك يعني أن المقصود الأعظم لسورة البقرة هو تعظيم شأن ذلك الكتاب العزيز، والحث على الاستهداء به في كل أمور الدين والدنيا، ولذلك نجد ذكر الكتاب يتردد في أنحاء شتى من السورة ابتداءً من تعظيمه {ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}، ومرورًا بالتحدي به لِمَنْ ارتاب في كونه وحيًا من الله على محمد ﷺ {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ}[2]، ولما نفى عنه الريب دافع عن النسخ الذي قد يكون ذريعة للريب، فقال: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}[3]، وقد ربط بين تحويل القبلة وخصوصية الرسالة وتعليم الكتاب والحكمة، فقال: { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}[4].

(١) سورة البقرة، من الآية ٢.
(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٣.
(٣) سورة البقرة، من الآية ١٠٦.
(٤) سورة البقرة، من الآية ١٥١.

ويكثر في سورة البقرة التشيع على أهل الكتاب لإهمالهم تعاليم كتبهم وكتمان ما فيها، والتفريط فيها، يشترون بذلك ثمنًا قليلاً من عرض الدنيا، وقد توعدهم الله بالعذاب الأليم على سبيل التعريض بِمَنْ يتلقى القرآن بالإهمال أو التفريط أو الإنكار، وفي أثناء هذا يقول سبحانه: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}(١).

وكل ما ورد في سورة البقرة من أحكام وتشريعات وأخبار يدل على أنه يوحي من الله تعالى في ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه.

وفي نهاية الصراع بين الحق والباطل وانتصار الحق يقول: {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ}(٢).

فهناك ارتباط قوي بين تعظيم الكتاب وتصديق الوحي، وبين صدق الرسول ﷺ والوحي والرسول الموحى إليه لهداية الخلق إلى عبادة الإله الواحد واعتناق تشريعه لعمارة الأرض واستقامة الأحوال.

ثانياً:أهمية الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية في الكشف عن المُناسبات الخفية:

قد تظهر المُناسبة بين آية وآية في داخل السورة، وقد تخفي تلك المُناسبة، وحينئذ يستعان للكشف عن عطائها بالسياق القريب أو البعيد وضم المعاني بعضها إلى بعض، مع التعويل أساسًا على المحور العام للسورة، فهو السبيل للكشف عن المُناسبات التي تغوص وتأبى أن تظهر إلا بعد سفر الخاطر في سائر معاني السورة، ولاسيما المقصد الأساسي الذي تدور حوله تلك المعاني. وهذا ما اتجه إليه العلماء المهتمون بالدراسات القرآنية، ومنهم الشاطبي الذي يرى أنه لا غنى عند التعرض للمُناسبة من استيفاء النظر في جميع أجزاء السورة للوقوف على المقصد الأعلى أو المحور الذي تدور حوله سائر الأغراض والمعاني(٣).

(١) سورة البقرة، من الآية ١٧٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٢.

(٣) راجع الموافقات (٣/٤١٢ . ٤١٥).

على أنه قد تلوح صلة قريبة للآية أو الآيات بما قبلها، ولكن إعادة النظر في المعاني المشتركة للسورة وفي مقصدها الأعظم يكشف عن صلة أخرى أشمل وأعمق وأوثق اتصالاً برءوس معاني السورة، خذ مثلاً قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا}(١).

فهذه الآيات تنقل حوارًا بين صاحب الجنتين الذي اغتر بدنياه وأشرك بالله، وبين صاحبه الذي آمن بالله ولم يشرك به أحدًا، وقد جاءت بعد مصير الظالمين ومصير المؤمنين {وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا}(٢).

وقد تعلق بعض المُفسرين بأظهر صلة، فقالوا: إن الله ﷻ قال قبل قصة صاحب الجنتين: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}، وصاحب الجنتين من هؤلاء الظالمين لقوله تعالى: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ}، وقال قبلها: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ}.

(١) سورة الكهف، الآيات ٣٢ . ٣٨.

(٢) سورة الكهف، الآيات ٢٩ . ٣١.

أي أن صاحب الجنتين وصاحبه يُمثلان نموذجًا حيًا للظالمين والمؤمنين الذي سبق الحديث عن تفاوت مصائرهم، ومع إمكان القول بهذه الصلة القريبة، فإن الأولى هو النظرة الشاملة لمقاصد سورة الكهف لنرى أي مقصد تجري في إطاره تلك القصة.

فمن أهم مقاصد تلك السورة التي بدأت بالحمد: الاعتراف بنعم الله اعترافًا يقودنا إلى عبادة الله ووحدانيته ﷻ، والتحذير من الاغترار بزينة الحياة الدنيا والغرق في ملذاتها؛ لأن هذا من أكبر أسباب الانصراف عن معرفة خالق الدنيا كلها.

ومضمون قصة صاحب الجنتين ومغزاها يصب في هذا الاتجاه، فإن تفاصيلها والحوار الذي دار فيها يدلنا على أن اغتراره بزينة الحياة الدنيا كان من أهم أسباب كفره، وقد قال ﷻ في صدر السورة: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}(١)، وقال قبيل تلك القصة: {وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا}(٢).

وبعد تلك القصة ضرب مثلاً للحياة الدنيا يحذر من الاغترار منها وقال بعده: {المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً}(٣).

أي أن قصة صاحب الجنتين التي أُحيطت بالتحذير من الاغترار بزينة الحياة الدنيا تُعد نموذجًا مجسدًا لذلك الاغترار ونتيجته المهلكة: {وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا}(٤)، وفي الآخرة: {وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا}(٥).

(١) سورة الكهف، آية ٧.
(٢) سورة الكهف، من آية ٢٨.
(٣) سورة الكهف، آية ٤٦.
(٤) سورة الكهف، من الآية ٤٢.
(٥) سورة الكهف، آية ٤٣.

الفصل الثاني
كشف المُناسبات الخفية في سورة البقرة

توطئة:

وبعد هذا التقعيد النظري لعلم المُناسبات وخاصة بيان نوعيها الظاهر والخفي، آن لي أن أبرز المُناسبات الخفية بضرب مثلٍ تطبيقي ببيان المُناسبت الخفية في سورة البقرة، ويشتمل هذا الفصل على مبحثين:

١. **المبحث الأول:** الوحدة الموضوعية لسورة البقرة:

٢. **المبحث الثاني:** مواضع خفاء المُناسبة في سورة البقرة.

المبحث الأول
الوحدة الموضوعية لسورة البقرة
المطلب الأول
إبراز الوحدة الموضوعية لسورة البقرة

هذه أطول سورة في القرآن كله، واشتملت على أحكام كثيرة ومتعددة، ففيها العقائد والعبادات والحدود والتشريعات والقصص، فيها ذكرت الصلاة والقبلة فيها، والصيام، والصدقة، والحج، وفيها ذكر البيع والربا وأحكام الدين، وفيها أحكام للنساء كالطلاق والعدة والخطبة والرضاع والحيض، وفيها ذكر الخمر، وغير هذا من موضوعات، بالإضافة إلى تضمنها لحديث طويل عن بني إسرائيل، ومع هذه الموضوعات المتعددة والمختلفة كثرة وموضوعًا، فإن محورها واحد، وموضوعاتها متآلفة مترابطة، كما سيأتي بيانه.

وعليه .. فهذه السورة تضم عدة موضوعات، ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور مزدوج، يترابط الخطان الرئيسان فيه ترابطًا شديدًا، فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، ومواجهتهم لرسولها ﷺ وللأمة الإسلامية الناشئة على أساسها، وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمُنافقين من جهة، وبين اليهود والمُشركين من جهة أخرى، وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الأمة

الإسلامية في أول نشأتها، وإعدادها لحمل أمانة الدعوة الإسلامية، بعد أن تُعلن عن عجز بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها، وتجريدهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم عليه السلام صاحب الحنفية السمحة، وتبصير الأمة الإسلامية وتحذيرها من العثرات التي سببت سلب هذا الشرف العظيم من بني إسرائيل، وكل موضوعات السورة تدور حول هذا المحور المزدوج بخطيه الرئيسين.

وسر إيثار هذا الاسم علمًا على السورة الكريمة، وعلاقة اسم السورة بوحدتها الموضوعية:

لما كان المحور العام للسورة والروح الغالبة على كل موضوعاتها، هو الدعوة إلى تحقيق الامتثال والتحذير من نقيضه، ولما كان أبرز ما في السورة مما يدل على هذا، بل أدل على بيان أن هذا هو المحور العام للسورة أصلاً من تلك القصة – أعني – قصة البقرة؛ فلذا سُميت السورة بها.

وناسب هذا كون السورة هي أول سور القرآن المفصلة للأحكام والشرائع، بعد الإجمال الوارد في أم القرآن، فكأن الله ﷻ يريد أن يعمق ويؤكد على مفهوم الامتثال من أول الأمر؛ حتى تتهيأ النفوس بعد هذا لتلقي منهج الله ﷻ وأوامره ونواهيه بالمبادرة والطاعة(١).

(١) أسرار أسماء سور القرآن الكريم من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف أ. د. الحسنين عبد الفتاح ص ٢٠٨.

المبحث الثاني
مواضع خفاء المُناسبة في سورة البقرة
الموضع الأول

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ}(١).

وبالنظر في هاتين الآيتين نجد أنهما جاءتا بعد نداء الله ﷻ للناس جميعًا وأمرهم بعبادة الله الذي خلقهم ونهيهم أن يجعلوا لله شركاء، وبعد أن أزال الشك عن القرآن وتحداهم أن يأتوا بسورة مثله إن كانوا صادقين فيما ادعوه من أن محمدًا قد أتى بهذا القرآن من تلقاء نفسه، ثم حذرهم من عذاب النار إن هم تمادوا في باطلهم، {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً}، حيث قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(٢)، ثم انتقل فجأة إلى هاتين الآيتين اللتين معنا.

(١) سورة البقرة، الآيتان ٢٦ . ٢٧.
(٢) سورة البقرة، الآيات ٢١ . ٢٥.

وقد يبدو في بادئ النظر عدم التناسب بين مساق الآيات السالفة ومساق هذه الآية، فبينما كانت الآية السابقة ثناءٌ على هذا الكتاب المبين، ووصف حالي المُهتدين بهديه والناكبين عن صراطه وبيان إعجازه والتحدي به مع ما تخلل في عقب ذلك من المواعظ والزواجر النافعة والبينات البالغة والتمثيلات الرائعة، إذا بالكلام قد جاء بخبر بأن الله تعالى لا يعبأ أن يضرب مثلاً بشيء حقير ، وبالنظر والتأمل تظهر المُناسبة لهذا الانتقال، ذلك أن الآيات السابقة اشتملت على تحدي البلغاء بأن يأتوا بسورة مثل القرآن، فلما عجزوا عن معارضة النظم سلكوا في المعارضة طريقة الطعن في المعاني، فلبسوا على الناس بأن في القرآن من سخيف المعنى ما ينزه عنه كلام الله ليصلوا بذلك إلى إبطال أن يكون القرآن من عند الله بإلقاء الشك في نفوس المؤمنين وبذر الخصيب في تنفير المُشركين والمُنافقين"(١).

وقال الإمام البقاعي مُبنهًا على وجه المُناسبة بين هذه الآية وما قبلها: "قال الحرالي لما كانت الدعوة تحوج مع المتوقف فيها والآبي لها إلى تقريب للفهم بضرب الأمثال، وكانت هذه الدعوة جامعة الدعوات وصل بها هذه الآية الجامعة لإقامة الحجة في ضرب الأمثال، وأن ذلك من الحق ﷻ: {وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ}(٢)، وليختم ذكر ما تضمنه صدر السورة من الحروف التي أنزل عليها القرآن الذي هو حرف المثل، وبين ﷻ أن مقدار الحكمة الشاهد للممثل في البعوضة، وفيما هو أظهر للحس وآخذ في العلم، وإنما يجب الالتفات للقدر لا للمقدار، ولوقع المثل على مُمثله قل أو جل دنا أو علا، فتنزه تعالى عما يجده الخلق عندما ينشأ من بواطنهم وهمهم أن يظهروا أمرًا فيتوهمون فيه نقصًا، فيرجعهم ذلك عن إظهار قولاً أو فعلاً"(٣).

(١) التحرير والتنوير (٣٥٧/١).
(٢) سورة الأحزاب، من الآية ٥٣.
(٣) نظم الدرر (٢١٩/١).

إذًا فالخلاصة أن المُناسبة تكمن في أن آية {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً} جاءت عقيب بيان جزاء الفريقين، فهي تابعة لآيات الحديث عن إعجاز القرآن، وكيف صدق به المؤمنون، وكذب به المُشركون، وشككوا وكان من بين صور تشكيكهم وتكذيبهم أن القرآن يضرب الأمثال بأشياء مستهجنة مستحقرة عندهم فرد عليهم بضرب هذا المثل، وأكد الإمام الرازي هذا الكلام قائلاً: "إعلم أنه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن مُعجزًا أورد ههنا شبهة أوردها الكفار قدحًا في ذلك وأجاب عنها، وتقرير الشبهة: أنه جاء في القرآن ذكر النحل والذباب والعنكبوت والنمل، وهذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء، فاشتمال القرآن عليها يقدح في فصاحته فضلاً عن كونه معجزًا، فأجاب الله تعالى عنه بأن صغر هذه الأشياء لا يقدح في الفصاحة إذ كان ذكرها مُشتملاً على حكم بالغة، فهذا هو الإشارة إلى كيفية تعليق هذه الآية بما قبلها[1]".

وأكد الإمام الآلوسي هذا الكلام مُختصرًا بقوله: "الآية جواب عن شبهة تورد على إقامة الحجة على حقية القرآن بأنه مُعجز، فهي من الريب الذي هو في غاية الاضمحلال، فكان ذكرها هنا أنسب"[2].

(١) مفاتيح الغيب (٣٦٠/٢).
(٢) روح المعاني (٢٠٩/١).

الموضع الثاني

قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}(١)

وبالتأمل في هذه الآية نجد أن قبلها ضرب مثلاً بالبعوضة، ثم بين موقف الذين آمنوا والذين كفروا من هذا المثل، ثم تعجب من كفرهم بالله الذي خلقهم، ثم ذكر أنه يُميتهم ثم يُحييهم، وأيضًا بين لهم أنه خلق الأرض والسماوات من أجلهم، ثم تحول إلى الخطاب بهذه الصورة في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ}، فما المُناسبة بين هذا المعنى والذي قبله؟.

وبالنظر والتدقيق تبين لي أن المُناسبة تتضح من عدة وجوه هي:

١. لما ذكر الحياة والموت المشاهدين تنبيهًا على القدرة على ما اتبعهما به من البعث، ثم دل على ذلك أيضًا بخلق هذا الكون كله على هذا النظام البديع، وختم ذلك بصفة العلم ذكر ابتداء خلق هذا النوع البشري المودع من صفة العلم ما ظهر به فضله بقوله تعالى عطفًا على قوله: {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ}(٢)، وبيانًا لقوله: {رَبَّ العَالَمِينَ}(٣)، إذ من البدءة تعلم العودة لِمَنْ تدبر(٤).

٢. أنه بعد ما تحدث عن نبوة سيدنا محمد ﷺ بعد الحديث عن وحدانية الله، والنهى عن الشرك تحدث عن النبوة الأولى، ومهد لها بحديث شائق عن تلك النشأة، وما جرى في شأنها مع الملائكة، ثم انتقل إلى الحديث عن حسد إبليس وما نشأ عنه من المعصية؛ ومن ثم، الابتلاء في الأرض. فالحديث الأول كان خاصًا بالقائد الأعظم محمد ﷺ الذي ختم الله به

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.
(٢) سورة البقرة، من الآية ٢١.
(٣) سورة المائدة، من الآية ٢٨.
(٤) نظم الدرر (٢٨٨/١).

الرسل، أما هنا فالحديث عن أبي البشر والخليفة الذي قام بعمارة الأرض وإقامة حدود الله، فبينهما الاتصال بين المبدأ والمختتم، وبين الوراثة والخلافة، وبين الملة الأولى والآخرة"[١].

٣. قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}[٢]، جاء بعد قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٣]، وخلق آدم عليه السلام من جملة ما خلق الله من الأرض، وقد أشار الإمام أبو السعود لهذا قائلاً: "وإذ قال ربك" بيان لأمر آخر، من جنس الأمور المُتقدمة، المؤكدة للإنكار والاستبعاد، فإن خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية، من أجل النعم الداعية لذريته إلى الشكر والإيمان، الناهية عن الكفر والعصيان، وتقرير مضمون ما قبله من قوله تعالى: {خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا}، وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها، ويكون الخطاب بتوجيهه إلى النبي ﷺ خاصة، للإيذان بأن فحوى الكلام ليس مما يهتدي إليه بأدلة العقل، كالأمور المشاهدة، التي نُبه عليها الكفر بطريق الخطاب، بل إنما طريقة الوحي الخاصة به ﷺ، وفي التعرض بعنوان الربوبية المُنبئة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره ﷺ من الإنباء عن تشريفه ما لا يخفي"، وأن خلق آدم عليه السلام وما خصه الله تعالى من الكرامات من أجل النعم الداعية إلى الشكر والإيمان الناهية عن الكفر والعصيان الذي وقع عليه الإنكار في الآية السابقة كيف تكفرون بالله، فكان قوله تعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً}، مؤكدة لذلك الإنكار؛ لأن في كليهما نعمًا جليلة كفروا بها، سوى أن النعم الواردة في قوله: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ

(١) التحرير والتنوير (٣٩٧/١).
(٢) سورة البقرة، الآية ٣٠.
(٣) سورة البقرة، من الآية ٣٠.

سَمَوَاتٍ}[١]، يمكن الاهتداء إليها بالعقل، والنعمة الواردة في قوله تعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} طريق معرفتها الوحي الخاص بمحمد ﷺ، وهذا هو سر التحول بالخطاب إليه تشريفًا له في {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} والواو في هذه الآية على هذا المعنى عاطفة لقصة على قصة، الأولى قصة خلق أول البشر على قصة خلق السماوات والأرض، انتقالاً في الاستدلال على وحدانية الخالق بخلق بعد خلق، على أن خلق الأرض وما فيها في قوله: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا}، قد أدمج في الإنسان بسماع قصة جديدة، وهي قصة خلق الناس جميعًا الذين خُلقت الأرض من أجلهم"[٢]، وأميل إلى هذا الرأي الأخير لأن به لمحة رائعة، حيث إن الله سبحانه وتعالى بعد أن ذكر خالقيته للسماوات والأرض أعقب ذلك بذكر خلق خليفة الله في الأرض، فكأن سائلاً سأل خلق الله السماوات والأرض وعمر السماوات بسكانها، فمن يعمر الأرض؟ فذكر عمار الأرض وبدء خلقهم، فكما للسماء عُمار، فللأرض عمار.

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٩.

(٢) إرشاد العقل السليم (٦٥/١).

الموضع الثالث

قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ}[1]، جاء هذا النداء بعد الحديث عن قصة آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له، وامتناع إبليس عن السجود، ثم المعصية التي وقع فيها آدم بعد أن وسوس له الشيطان، وتوبة الله عليه بعد ذلك ووعد الله لِمَنْ اتبعه بالأمان، والعذاب لِمَنْ كفر به.

إذًا لم يسبق أي ذكر لبني إسرائيل ليتحول فجأة إلى قصتهم، فما هي العلاقة؟، وتتبين العلاقة من عدة وجوه، وهي:

١. أن هذه الآية ينتظم رأس الخطاب فيها برأس خطاب آخر يناسبها في جملة معناها، فقد خاطب العرب الذين لم يتقدم لهم هدى في {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}[2]، ثم أقبل الخطاب على بني إسرائيل ليكونوا أول مؤمن بما عندهم من علم"[3].

٢. لما أنكر الله عز وجل على جميع الكفار كفرهم بالذي أنعم عليهم {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ}[4]، توجه إلى طائفة خاصة منهم كانوا في عهد النبي ﷺ يذكرهم بنعم الله عليهم. وأشار إلى هذا المعنى الإمام الآلوسي قائلاً: "هذا خطاب لطائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي ﷺ بعد الخطاب العام، وإقامة دلائل التوحيد والنبوة والمعاد والتذكير بصنوف الإنعام، وجعله سبحانه بعد قصة آدم عليه السلام؛ لأن هؤلاء بعد ما أوتوا من البيان الواضح، والدليل اللائح، وأمروا ونهوا وحرضوا على إتباع النبي ﷺ،

(١) سورة البقرة، الآيتان ٤٠ . ٤١.
(٢) سورة البقرة، من الآية ٢١.
(٣) نظم الدرر (٣١٢/١).
(٤) سورة البقرة، من الآية ٢٨.

الأمر الذي يجدونه مكتوبًا عندهم ظهر منهم ضد ذلك، فخرجوا عن جنة الإيمان الرفيعة، وهبطوا إلى أرض الطبيعة، وتعرضت لهم الكلمات، إلا أنهم لم يتلقوها بالقبول، ففات منهم ما فات، وأقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرد من الأوامر والنواهي"[١].

٣. ومن الوجوه أيضًا أنه حتى وإن لم يأت ذكر صريح لبني إسرائيل، إلا أنه جاء بالإشارة في كلام سبق يضمهم ويضم غيرهم، وذلك بداية من الحديث عن المنافقين، فإن اليهود هم رؤوس النفاق، وهم مَنْ علموا المنافقين في المدينة النفاق، وهم مَنْ شككوا في هذا الدين، وهم مَنْ وصفهم الله بالفسق. فقد ذكر صفاتهم هذه من قبل (نقض العهد، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، والإفساد في الأرض)، ثم نداهم صراحة.

٤. أنه تعالى لما أقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولاً، ثم عقبها بذكر الإنعامات العامة لكل البشر عقبها بذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود كسرًا لعنادهم ولجاجهم بتذكير النعم السالفة، واستمالة لقلوبهم بسببها، وتنبيهًا على ما يدل على نبوة محمد ﷺ من حيث كونها إخبارًا عن الغيب"[٢].

٥. وربما تكمن المُناسبة في انتقاله من موعظة المشركين إلى موعظة الكافرين من أهل الكتاب؛ وبذلك تتم موعظة الفرق المتقدم ذكرها؛ لأن فريق المنافقين لا يعدوا أن يكونوا من المشركين، أو من أهل الكتاب اليهود، ووجه الخطاب هنا إلى بني إسرائيل، وهم أشهر الأمم المتدينة ذات الكتاب الشهير والشريعة الواسعة، وذلك لأن هذا القرآن جاء يهدي للتي هي أقوم، فكانت هذه السورة التي هي فسطاطه مُشتملة على الغرض الذي جاء لأجله، وقد جاء الوفاء بهذا الغرض على أبدع الأساليب وأكمل وجوه البلاغة، فكانت فاتحتها في التنويه بشأن هذا الكتاب وآثار هديه وما يكتسب مُتبعوه من

(١) روح المعاني (٢٥١/١).
(٢) مفاتيح الغيب (٤٧٤/١).

الفلاح دنيا وأخرى، وبالتحذير من سوء مغبة من يعرض عن هديه، ووصف في خلال ذلك أحوال الناس تجاه تلقي هذا الكتاب من مؤمن وكافر ومنافق. بعد ذلك أقبل على أصناف أولئك بالدعوة إلى المقصود، وقد انحصر الأصناف الثلاثة من الناس المتلقين لهذا الكتاب بالنسبة لحالهم تجاه الدعوة الإسلامية في صنفين، لأنهم إما مُشرك أو مُتدين، أي (كتابي) إذ قد اندرج صنف المُنافقين في الصنف المُتدين لأنهم من اليهود. فدعا المُشركين إلى عبادته سبحانه بقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ}، فالناس إن كان المراد به المشركين كما هو اصطلاح القرآن فظاهر، وإن كان المراد به كل الناس فقوله {اعْبُدُوا} يختص بهم لا محالة، إذ ليس المؤمنون بداخلين في ذلك، ولما قضي الخطاب مع المشركين، أقبل بالخطاب هنا على الصنف الثاني، وهم أهل الشرائع والكتاب، وخص من بينهم بني إسرائيل؛ لأنهم أمثل أمة وأن كتابهم مشهود في العالم كله"[1].

٦. أن بني إسرائيل من ذرية آدم مثلنا تمامًا، وقد أخذ الله تعالى عهدًا على آدم عليه السلام أن يأكل من ثمار الجنة إلا شجرة واحدة، بيد أنه نسي العهد، فأكل من الشجرة، ثم تاب فقبل الله تعالى عليه، وكذا كل أمة أخطأت يجب عليها أن تتوب وترجع إلى الله تعالى.

(١) التحرير والتنوير (١/٤٤٧).

الموضع الرابع

قوله تعالى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(١).

تحدثت الآيات السابقة عن بني إسرائيل، وعن حقدهم على رسالة محمد ﷺ وغير ذلك، ثم نقل الخطاب فجأة إلى خطاب مُختلف، وهو الحديث عن النسخ في العلاقة بينهما، تتضح هذه العلاقة من عدة وجوه:

١. ذكر الإمام البقاعي أن لآية النسخ صلة بالآية قبلها، حيث قال تعالى: {وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ}(٢)، ويقتضي هذا الاختصاص ما يكون من نسخ شريعة لشريعة، أو نقل ما يكون من المنافع من ملك أو دين أو قوة أو علم من ناس إلى ناس، فكان اليهود يرون أن دينهم لا ينسخ، فكان النسخ لذلك من مطاعنهم في هذا الدين الإسلامي؛ لأنه على زعمهم لا يحق على الله، مع أن النسخ في كتابهم معلوم، ففيه أن الله تعالى أمرهم بالدخول إلى بيت مقدس في الأرض المُقدسة، لمقابلة الجبارين، فلما أبوا حرم الله عليهم دخولها، وأحل لهم جميع اللحوم والشحوم، فلما اتخذوا العجل حرم عليهم الشحوم، وأعظم من ذلك تعاطيهم من النسخ ما لم يأذن به الله، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وتحريم الأحبار والرهبان، وتحليلهم لهم ما شاءوا من الأحكام، كما قال الله تعالى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ}(٣)، كما فعلوا في أتباع ما تتلو الشياطين، مع أن فيه إبطال كثير من شرعهم، وفي نبذ فريق منهم كتاب الله، وفي قولهم: سمعنا وعصينا، وفي اتخاذهم العجل وقد نهو عنه"(٤).

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٦.
(٢) سورة البقرة، من الآية ١٠٥.
(٣) سورة التوبة، من الآية ٣١.
(٤) ينظر: نظم الدرر (٢/٩٠ . ٩١).

٢. ومن وجوه الصلة أيضًا ما ذكره الإمام أبو السعود، أن هذه الآية رد على اليهود إثر رد سبق على تشكيكهم في الوحي المنزل، فقد سبق أن شككوا في ضرب الله المثل بالعنكبوت، فقالوا: {مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً}. وشككوا مع المشركين في النسخ، فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه(١).

٣. من وجوه المُناسبة أيضًا أن اليهود اعتذروا عن إعراضهم عن الإيمان بالنبي ﷺ بقولهم: {نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا} وأرادوا به أنهم يكفرون بغيره وهم في عذرهم ذلك يدعون أن شريعتهم لا تنسخ، ويقولون إن محمدًا ﷺ وصف التوراة بأنها حق، وأنه جاء مصدقًا لها، فكيف يكون شرعه مُبطلاً للتوراة؟ ويموهون على الناس بما سموه البداء وهو لزوم أن يكون الله تعالى غير عالم بما يحسن تشريعه، وأنه يبدو له الأمر ثم يعرض عنه ويبدل شريعة بشريعة"(٢)، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

(١) إرشاد العقل السليم (١٤٢/١).
(٢) التحرير والتنوير (٦٥٤/١).

الموضع الخامس

قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}(١).

جاءت هذه الآية بعد زعم اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة أحد غيرهم، ورد عليهم الله ﷻ بأنها ما هي إلا أماني لا دليل عليها {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ}(٢).

ثم بين القرآن أنهم على رغم اتفاق اليهود والنصارى على معاداة الإسلام، إلا أنهم مختلفون فيما بينهم {وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}(٣).

ثم تأتي بعد ذلك مباشرة الآية التي معنا، وهي انتقاله في ظاهرها غريبة، فليس ثمة صلة ظاهرة بين هذه الآية وما قبلها، حتى مع الاستعانة بسبب النزول، فقد نزلت هذه الآية في المشركين حين صدوا رسول الله ﷺ عن مكة يوم الحديبية(٤).

إذن فما هي الصلة بين هذه الآية وما قبلها؟ ويمكن التماس الصلة من عدة وجوه:

١. أن المشركين بمنعهم المسلمين من العبادة والصلاة أصبحوا مثل اليهود والنصارى في قول بعضهم لبعض .. لستم على شئ أشار إلى ذلك الإمام أبو السعود، حيث قال: فتعلقها بما تقدمها من جهة أن المشركين من جملة الجاهلية القائلين لكل من عداهم ليسوا على شيء"(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية ١١٤.
(٢) سورة الأنبياء، من الآية ٢٤.
(٣) سورة البقرة، الآية ١١٣.
(٤) أسباب النزول للواحدي ص ٤٠٥.
(٥) إرشاد العقل السليم (١١٦/١).

٢. وهناك اتجاه يرى الأخذ بعموم اللفظ دون خصوص السبب، فتكون الآية تحذيرًا عامًا لكل من عمد إلى فعل ذلك في أي مسجد يذكر فيه اسم الله، فيتناول النصارى قديمًا واليهود حديثًا لأنهم الآن يصدون المسلمين عن الصلاة في بيت المقدس، كما يتناول المشركين الذين قاموا بمنع النبي ﷺ من الصلاة في المسجد الحرام، ورد فعل أهل مكة في يوم الحديبية، وتتناول الآية كل من يصد المسلمين عن الصلاة في أي مسجد. ومن هنا تتضح المُناسبة، وقد أشار أبو حيان إلى هذا المعنى قائلاً: "فقد جرى ذكر النصارى في قوله {وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ}[١]. "وجرى ذكر المشركين في قوله تعالى: {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ}، وفي أي منهم نزلت كان ذلك مُناسبا لمجئ قوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}"[٢].

٣. ومن وجوه المُناسبة أيضًا أنه بعد أن وفىَّ أهل الكتاب حقهم من فضح نواياهم في دين الإسلام وأهله، وبيان أن تلك شنشنة متأصلة فيهم مع كل مَنْ جاء بما يخالف هواهم، وكان قد أشار إلى أن المشركين شابهوهم في ذلك عند قوله: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلاَ المُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ}[٣]، عطف الكلام إلى بيان ما تفرع عن عدم ودادة المشركين نزول القرآن، فبين أن ظلمهم في ذلك لم يبلغه أحد مِمَنْ قبلهم، إذ منعوا مساجد الله وسدوا طريق الهدى وحالوا بين الناس وبين زيارة المسجد الحرام الذي هو فخرهم وسبب مكانتهم، وليس هذا شأن طالب صلاح الخلق، بل هذا شأن الحاسد المُغتاظ"[٤].

٤. وأرى أن المُناسبة تكمن في أنه تعالى أراد أن يقول لهم كلكم ظالمون المشركون واليهود والنصارى؛ لأن كل منهم يقسم الجنة على حسابه، والأظلم منهم مَن يمنع دخول المسجد الحرام، وهو تعريض بمشركي مكة.

(١) سورة البقرة، من الآية ١١٣.
(٢) البحر المحيط (٣٥٧/١).
(٣) سورة البقرة، من الآية ١٠٥.
(٤) التحرير والتنوير (٦٧٨/١).

الموضع السادس

قال تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ}(١)

حذر القرآن الكريم قبل هذه الآية من اتباع اليهود والنصارى، وأنه لا فائدة من مُحاولة إرضائهم؛ لأنهم لا يرضيهم إلا اتباع ملتهم {وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى}(٢).

وجاء قبلها أيضًا خطاب اليهود خاصةً بأن يذكروا نعمة الله عليهم، فالله ﷻ نجاهم ثم أنزل إليهم التوراة التي تبشرهم بهذا النبي الخاتم، ثم أمرهم باتباع هذا النبي وحذرهم من معاداته بيوم لا تجزي نفس عن نفس شيئًا، فلا يبدو في الظاهر ثمة صلة بين هذه الآية وما قبلها، ولكن بالبحث الدقيق تتضح الصلة، وهي:

١. جاء قبل هذه الآية قوله ﷻ على سبيل التحذير من مودة اليهود والنصارى {وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ}(٣).

وكان العلم الذي أعلمه النبي ﷺ {الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ}(٤) هو معرفة انحراف اليهود والنصارى عن الدين الحق، أما الهدى {قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ}(٥)،

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٤.
(٢) سورة البقرة، من الآية ١٢٠.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٠.
(٤) سورة البقرة، من الآية ١٢٠.
(٥) سورة البقرة، من الآية ١٢٠.

فهو {مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ}[١]، وهو {أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}[٢].

وهذه الآيات الثلاث تبين صلة هذه الآية بما قبلها، يقول الإمام البقاعي: "تحول عن أهل الكتاب الذين اتخذوا لهم بأهوائهم ملة افتعلوها إلى ذكر صاحب الملة التي يرضاها والتي هي أساس الدين الحنيف الذي عليه هذه الأمة"[٣].

وقد أيده في هذا الإمام أبو السعود، حيث قال: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ}[٤]، شروع في تحقيق أن هدى الله هو ما عليه النبي ﷺ من التوحيد والإسلام الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام، وأن ما عليه أهل الكتابين، أهواء زائغة، وتأكيد صحة نبوة محمد ﷺ وأنه النبي الذي استدعاه إبراهيم وإسماعيل بقولهما: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ}[٥]"[٦].

٢. وقد تكون المُناسبة في أنه ﷻ لما استقصى في شرح وجوه نعمه على بني إسرائيل، ثم في شرح قبائحهم في أديانهم وأعمالهم، وختم هذا الفصل بما بدأ به وهو قوله: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ}[٧]. شرع ﷻ ههنا في نوع آخر من البيان وهو أن يذكر قصة إبراهيم عليه السلام وكيفية أحواله، والحكمة فيه: أن إبراهيم عليه السلام شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل،

(١) سورة الحج، من الآية ٧٨.
(٢) سورة البقرة، من الآية ١٣٥.
(٣) نظم الدرر (١٤٧/٢).
(٤) سورة البقرة، من الآية ١٢٤.
(٥) سورة البقرة، من الآية ١٢٩.
(٦) إرشاد العقل السليم (١٢٠/١).
(٧) سورة البقرة، الآيتان ١٢٢ . ١٢٣.

فالمشركون كانوا مُعترفين بفضله مُتشرفين بأنهم من أولاده ومن ساكن حرمه وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، كانوا أيضًا مُقرين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده، فحكى الله ﷻ عن إبراهيم أمورًا توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد ﷺ والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه"(١).

٣. أو أن المُناسبة هي أنه قال ﷻ قبل هذه الآية: {وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ}(٢)، أي أينما تتوجهوا في الصلاة، فثم وجه الله، وهذا يدل على حديث تال عن قبلة الصلاة لأمة محمد ﷺ، فجاء الحديث عن إبراهيم عليه السلام وبناء البيت مقدمة للحديث عن صيرورة هذا البيت الحرام قبلة للصلاة"(٣).

فسيدنا إبراهيم ليس غريبًا عن بني إسرائيل، ولا عن المشركين، ولا عن المسلمين، ولذلك ضرب المثل به.

(١) مفاتيح الغيب (٤٧/٤).
(٢) سورة البقرة، من الآية ١١٥.
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٤٧/٤)، بتصرف.

الموضع السابع

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بْالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلاَ تَقُولُوا لِمْن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ}(١).

وأقصد من هذا الموضع الآية الثانية، ولكن جئت بهما مجتمعين لارتباطهما وحاصل الآية الثانية الحث على الجهاد في سبيل الله، ولم يسبق للجهاد ذكر في سورة البقرة، فما علاقتهما بما قبلهما؟ ولكن لابد من ذكر علاقة الآية بالآية السابقة عليها أولاً.

وبالفعل توجد صلة قريبة بين الآيتين وهي أن قوله تعالى: {اسْتَعِينُوا بْالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ} يوحي بالجهاد في سبيل الله، وقوله تعالى: {وَلاَ تَقُولُوا لِمْن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ}، يصرح بالقتال في سبيل الله، وإن لم يطلب طلبًا صريحًا اكتفاء في هذه المرحلة بالترغيب.

وأما عن المُناسبة بين الآيتين وما قبلهما، فأقول: هناك علاقة قريبة وأخرى بعيدة، فالقريبة في قوله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ}(٢)، ومع أن ذكر الله مطلوب في كل وقت، ولكن المؤمنين يكونون في احتياج شديد إليه عنه ملاقاة الأعداء، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(٣).

أما العلاقة البعيدة فتوجد في جميع أجزاء سورة البقرة التي تتحدث عن اليهود والنصارى، فإن هذه الآيات تُبين مدى عداء أهل الكتاب لهذا الدين الإسلامي، مثل قوله تعالى: {وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى}(٤)، وقوله تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}، فهذه الآيات توحي بأن هذا العداء قائم ولن يزول.

(١) سورة البقرة، الآيتان ١٥٣ . ١٥٤.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٢.
(٣) سورة الأنفال، الآية ٤٥.
(٤) سورة البقرة، الآية ١١١.

ومن العلماء الذين أيدوا ذلك الإمام البقاعي حيث قال: "اصبروا على كل ما يقوله أهل الكتاب وغيرهم في أمر القبلة، {مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَتِي كَانُوا عَلَيْهَا} وصلوا إلى البيت الذي وجهتكم إليه {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ}، وجاهدوا كل مَنْ خالفكم حتى يكون عبرة {وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ}"(١).

الموضع الثامن

قال تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ}(٢)

وخفاء المُناسبة في هذا الموضع هو أنه لم يسبق في سورة البقرة أي حديث عن الحج والعمرة، غير الحديث عن الطائفين والعاكفين، وقد ذكر الإمام الرازي ثلاثة وجوه لتعلق هذه الآية بما قبلها، وهي:

أحدها: أن الله تعالى بين أنه إنما حول القبلة إلى الكعبة ليتم إنعامه على محمد ﷺ وأمته بإحياء شرائع إبراهيم ودينه على ما قال ولأتم نعمتي عليكم وكان السعي بين الصفا والمروة من شعائر إبراهيم على ما ذكر في قصة بناء الكعبة وسعي هاجر بين الجبلين، فلما كان الأمر كذلك ذكر الله تعالى هذا الحكم عقب تلك الآية.

وثانيها: أنه تعالى لما قال: {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}(٣)، قال: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ}، إنما جعلهما كذلك؛ لأنهما من آثار هاجر وإسماعيل مما جرى عليهما من البلوى، واستدلوا بذلك على أن مَنْ صبر على البلوى، لابد وأن يصل إلى أعظم الدرجات وأعلى المقامات.

(١) نظم الدرر (٢/٢٥٠).
(٢) سورة البقرة، الآية ١٥٨.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٥٥.

وثالثها: أن أقسام تكليف الله تعالى ثلاثة:

١. ما يحكم العقل بحسنه في أول الأمر، فذكر هذا القسم أولاً وهو قوله: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ}[١]، وأن كل عاقل يعلم أن ذكر المنعم بالمدح والثناء والمواظبة على شكره أمر مُستحسن في العقول.

٢. ما يحكم العقل بقبحه في أول الأمر، إلا أنه بسبب ورود الشرع به يُسلم حسنه، وذلك مثل إنزال الآلام والفقر والمحن، فإن ذلك كالمستقبح في العقول؛ لأن الله تعالى لا ينتفع به ويتألم العبد منه، فكان ذلك كالمستقبح، إلا أن الشرع لما ورد به وبين الحكمة فيه، وهي الابتلاء والامتحان قال: {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ}، فحينئذ يعتقد المسلم حسنه وكونه حكمةً وصوابًا.

٣. الأمر الذي لا يهتدي إلى حُسنه، ولا إلى قبحه، بل يراه كالعبث الخالي من المنفعة والمضرة، وهو مثل أفعال الحج من السعي بين الصفا والمروة، فذكر الله تعالى هذا القسم عقب القسمين الأولين ليكون قد نبه على جميع أقسام تكاليفه وذاكرًا لكليهما على سبيل الاستيفاء والاستقصاء[٢].

ومن الممكن أن نقول إن المُناسبة هي أنه جعل الحج والعمرة كالتعليل لاستحقاق البيت الحرام؛ لأن يكون قبلة الناس أو لارتباط الحج والعمرة بالجهاد المأخوذ من الآية قبلها، فإن القتال لإزالة الموانع إلى حج بيت الله، وقد ألمح إلى هذا المعنى الإمام البقاعي حيث ذكر ثلاث جهات للصلة بين آية الصفا والمروة وما قبلها، وهي:

الأولى: أنه سبق الحديث عن قبلة الصلاة وقوله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ} كالتعليل لاستحقاق البيت لأن يكون قبلة للصلاة.

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٢.

(٢) مفاتيح الغيب (١٣٤/٤).

الثانية: أن طريق الحج إذ ذاك كان ممنوعًا بأهل الحرب، فكأنه قال فلنبلونكم بقتال المشركين لزوال مانع الحج وقتال غيرهم من أهل الكتاب وغيرهم لإتمام النعمة بتمام الدين وظهوره على كل دين.

الثالثة: أنه ﷻ لما ذكر البلايا بنقص الأموال بسبب الذنوب {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}(١)، وأتبعها الدواء الجابر لذلك النقص دينًا ودنيا، فإن الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الذهب والفضة"(٢).

الموضع التاسع

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ}(٣)

جاءت هذه الآية بعد أن بشر الله الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة، وبعد الحديث عن الصفا والمروة، ثم انتقل انتقالة تُحير المتعجلين، فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالْهُدَى} فأي مُناسبة بين شعائر الحج والعمرة، وبين كتمان ما أنزل الله من البينات والهدى؟

وأرى أن المُناسبة هنا تتضح من خلال خط سير المعاني في السورة كلها، فليس بلازم أن تكون الصلة بين الآية وما قبلها مباشرة؛ لأن السورة القرآنية يكون بها معالم ومعان أساسية، ويكون بين المعنى الأساسي والذي بعده تفريعات مكملات، وهذا ما حدث في هذه الآية، فإن مَنْ تتبع معاني سورة البقرة يجد أن من محاورها الرد على شبهات اليهود وتشكيكاتهم في الدين الإسلامي.

(١) سورة الشورى، من الآية ٣٠.
(٢) نظم الدرر (٢/٢٦٢).
(٣) سورة البقرة، الآية ١٥٩.

ولقد بدأت السورة في هذا الحديث عن ضرب المثل بالبعوضة، والنسخ، وتشكيك اليهود في أمر تحويل القبلة، وكل هذه التشكيكات مع علمهم بأن محمدًا ﷺ هو نبي آخر الزمان، وهذا الأمر مكتوب في كتبهم، ولكنهم يكتمون، فهذه الآية تعدد بقية مواقف أهل الكتاب، وهذا يُعد من إعجاز القرآن الكريم، لأنه ما بين الآية ٤٢، ثم الآية ١٤٦، والآية ١٥٩ أكثر من مائة آية وقعت بينهما، ولم يمنع هذا من تناسب الآيات وعدم وجود تنافر بينهما، فليس من اللازم أن نحصر المُناسبات في دوائر ضيقة(١).

لكن من العلماء مَنْ رأى أنه من اللازم وجود علاقة ومُناسبة بين الآية وما سبقها، أي المُناسبة الملاصقة حتى وإن كلفه هذا إلى تقدير جمل لتحقق المُناسبة، وهذا ما فعله الإمام البقاعي في هذه الآية، فقال: "وكان السياق مرشدًا إلى أن التقدير بعد {شَاكِرٌ عَلِيمٌ}، ومن أحدث شرًا فإن الله عليم قدير، فوصل به استئنافًا قوله على وجه يعمهم وغيرهم {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالْهُدَى}، وذلك بالنظر إلى أن المقدر شر والكتمان شر.

وأميل إلى الرأي الأول، لأنه يبين مدى إعجاز القرآن الكريم وتناسب آياته بشكل لا يستطيع البشر فعله، مما يؤكد أنه كتاب من عند الله، كما أنه لا تكلف فيه ولا تقدير.

(١) ينظر: التفسير الموضوعي، ص ١٨٠.

الموضع العاشر

قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ}

هذه الآية جاءت بعد آيات تُمثل مقطعًا مُتصلاً يتحدث عن الصيام، وما يتعلق به من أحكام، لكن توسط هذا المقطع هذه الآية التي تخفي صلتها بسياقها الذي وردت فيه. فآيات المقطع كلها تدور حول أحكام الصيام، أما هذه الآية فتتحدث عن الدعاء، فيجد القارئ للآيات أن ظاهرها يوحي بعدم الاتصال بالسياق، ومما يزيد هذا الخفاء الوقوف على سبب نزول هذه الآية، وهو ما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أقريب ربنا؟ فنناجيه. أم بعيد فنناديه؟ قال: فسكت عنه فأنزل الله {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ}"[(١)]. فإن هذا السبب يجعلنا نقول أي جامع يجمع بين الصيام وبين هذا السؤال الذي سأله الأعرابي؟

ومن هنا فقد ذهب كثير من المُفسرين إلى أن اتصال هذه الآية بسياقها قائم على سبيل الاستطراد إلى الحديث عن معنى جزئي متفرع من الصيام، وفي ذلك يقول الإمام الآلوسي: "إنه لما نسخ الأحكام في الصوم ذكر هذه الآية الدالة على كمال علمه بحال العباد، وكمال قدرته ﷻ عليهم، ونهاية لطفه بهم في أثناء نسخ الأحكام تمكينًا لهم في الإيمان، وتقريرًا لهم على الاستجابة؛ لأن مقام النسخ من مظان الوسوسة والتزلزل، فالجملة على التقديرين اعتراضية بين كلامين متصلين معنى، أحدهما ما تقدم من قوله {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ}[(٢)]، والثاني قوله تعالى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ}[(٣)]"[(٤)].

---

(١) تفسير ابن أبي حاسم (٣١٤/١).
(٢) سورة البقرة، من الآية ١٨٣.
(٣) سورة البقرة، من الآية ١٨٧.
(٤) روح المعاني للآلوسي (٤٦٠/١).

والنسخ الذي ذكره الإمام الآلوسي يقصد به النسخ الذي حدث للصوم الأول، فقد كان المسلم الصحيح المقيم مخيرًا بين الصيام والفدية، ولما نسخ هذا الحكم، بأن فرض الصيام على كل مسلم صحيح مُقيم، جاء بهذه الآية هنا لترغيب المُسلمين في تنفيذ أمر الله، وحثهم عليه.

وقال الإمام البيضاوي مؤكدًا أن وجه الاتصال هو الاستطراد "اعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر، ومراعاة العدة، وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر، عقبه بهذه الآية الدالة على أنه تعالى خبير بأحوالهم، سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم"(١).

ووافقهما الشيخ محمد رشيد رضا إلى أن وجه الاتصال قائم على الاستطراد، لكن بصورة أخرى، حيث قال: "الآية جاءت بين آيات الصيام وهي ليست بأجنبية منها، وإنما هي متصلة بما قبلها من الأحكام، فقد طالبنا الله ﷻ في الآية السابقة بإكمال عدة الصيام وبتكبير الله تعالى، وذكر أن ذلك يعدنا لشكره تعالى، والتكبير والشكر يكونان بالقول نحو الحمد لله والله أكبر، كما يكونان بالعمل وما كان بالقول يأتي فيه السؤال هل يكون برفع الصوت والمناداة، أم بالمُخافتة والمناجاة! فجاءت هذه جوابًا عن هذا السؤال الذي يتوقع إن لم يقع، فهي في محلها سواء صح ما ورد في سببها أم لا"(٢).

"وهناك علاقة أخرى اشتهرت في أذهان الناس، وهي أن هذا الشهر معروف بأنه مظنة قبول الصيام، وأنه شهر ليلة القدر إذًا فهو مظنة لقبول الدعاء واستجابته، قال رسول الله ﷺ: "ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دعوتُهم: الصائمُ حتى يُفطِرَ، والإمامُ العادلُ، ودعوةُ المظلومِ يرفعها اللهُ فوقَ الغمامِ، ويُفتَحُ لها أبوابُ السماءِ، ويقولُ الربُّ: وعزَّتي لأنصرنَّكِ ولو بعد حِينٍ"(٣)(٤).

(١) أنوار التنزيل وأسرا التأويل للبيضاوي (١/١٢٥).
(٢) تفسير القرآن الحكيم المسمى بتفسير المنار (٢/١٣٤).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث رقم ٨٠٤٣ ص ٤١٠، صحيحه الألباني وابن ماجة.
(٤) وأيد هذا الإمام ابن كثير في تفسيره "تفسير القرآن العظيم" (١/٣٧١).

إذًا فوضع هذه الآية وسط آيات الصيام يُشير إلى مدى قرب الله ﷻ من عباده الصائمين في هذا الشهر وإلى كثرة استجابة الله لعباده في هذا الشهر إذا دعوه، كما دل على ذلك سياق الآية الذي بين أن الله يجيب دعاء من دعاه {أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}، وليس في الآية ما يخص الصائمين دون غيرهم.

وذهب طائفة أخرى من المُفسرين إلى أن وجه الاتصال بالسياق قائم على تقدير سؤالِ عَنْ الجزاء المُنتظر بعد القيام بتلك التكليفات المذكورة. ومن هؤلاء الإمام الطاهر بن عاشور حيث قال: "إن نظم الآية مؤذن بأن الله تعالى بعد أن أمرهم بما يجب عليهم أكرمهم، فقال وإذا سألوا عن حقهم علي، فإني قريب منهم أجيب دعوتهم، وجعل هذا الخير مُرتبًا على تقدير سؤالهم إشارة إلى أنهم يهجس هذا في نفوسهم بعد أن يسمعوا الأمر بالإكمال والتكبير والشكر أن يقولوا: هل لنا جزاء على ذلك؟ وأنهم قد يحجمون عن سؤال النبي ﷺ عن ذلك أدبًا مع الله تعالى؛ ولذلك قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}"(١).

وأوضح الإمام البقاعي العلاقة بين هذه الآية وبين ختام الآية التي قبلها، فقال . رحمه الله . ولما كان دعاء الصائم مجابًا، وكان هذا الشهر بالخصوص مظنة الإجابة للصائم، وكانت ليلة القدر، وكان ذكر كبريائه ﷻ مُهيئًا لعباده للإحساس بالبعد، فكان ربما أوقع في وهم أنه على عادة المتكبرين في بعد المسافة عن محال العبيد، وأنه إن كان بحيث يسمع لم يكن لأحد منهم أن يسأله إلا بواسطة رفع هذا الوهم بقوله: {وَإِذَا} دالاً بالعطف على غير مذكور وأن التقدير: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي} مع علو شأني رقيب على مَنْ أطاعني ومَنْ عصاني"(٢).

ومما يؤيد ما قاله الإمام البقاعي بعض الدلالات الموجودة في الآية وهي:

(١) التحرير والتنوير ١٧٨/٢.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٣٤٩/١).

١. تصدير الجواب بقوله: {فَإِنِّي قَرِيبٌ} دون ذكر (قل) أو (فقل) مثلما وقع في أجوبة كافة الأسئلة الواردة في القرآن الكريم، مثل قوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ}[١] و{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى}[٢]، ولكن تولى الله ﷻ الإجابة بنفسه قائلاً: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} بدون واسطة حتى بكلمة إشعارًا بقربه ﷻ من جميع عباده، فلا تتوقف الإجابة على وجود واسطة بين العبد وبين ربه، حتى ولو كانت الواسطة هي أفضل الخلق وأحبهم إلى رب العالمين.

٢. ابتداء الجواب بـ{إن} المؤكدة، مع وصلها بالفاء التي تدل على الترتيب والتعقيب للدلالة على سرعة الإجابة.

٣. تقديم جواب الشرط على فعل الشرط في قوله تعالى: {أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}، وفي هذا إشارة على حب الله لعباده السائلين وحفاوته ﷻ بهم، كما أن فيه تأكيدًا على عدم حاجة عباده إلى وسطاء ولا أولياء.

وأرى من أن أوجه ارتباط هذه الآية بالسياق القرآني أن الصيام والدعاء كليهما من أركان الإخلاص، فالإخلاص عنوان الصيام، فهو عبادة لا يطلع عليها إلا الله ﷻ، لذا قال تعالى في الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به"[٣]. وكذلك الدعاء لابد فيه من الإخلاص لله رب العالمين ولا واسطة فيه، قال تعالى: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ"[٤].

ومن وجوه القرب أيضًا بين الصيام والدعاء في هذا السياق القرآني أن الله تعالى لما كلف عباده بالصوم وهو عبادة شاقة، أراد أن يُحرك قلوبهم ويبعث فيهم دوافع الاستجابة والطاعة بأساليب متعددة منها ذكر آية الدعاء هنا، فبعد أن ناداهم في صدر آية الصيام بالنداء الملئ بالحنان والرحمة والود:

---

(١) سورة البقرة، من الآية ٢١٩.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٢٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شُتم؟، حديث رقم ١٩٠٤ (٢٦/٣).

(٤) سورة غافر، من الآية ١٤.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، ثم ملئت العبارات في الآية بمظاهر الرأفة والرحمة مثل بناء الفعل كُتِبَ للمجهول دون كَتَبَ بالبناء للمعلوم؛ ولأنه إذا كان في الأمر مشقة على العباد يقول القرآن كُتب مثل {كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ}(١)"، فلم يقل كتبنا، أما إذا جاء في الأمور المُحببة للنفس قال كتب بالبناء للمعلوم مثل: {كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}(٢).

وبعد أن أغرى المسلمون بالثمرة المرجوة والغاية المنشودة من الصيام وهي التقوى بقوله: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، وبعد أن يسر أمر الصيام في قوله تعالى: {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ}(٣)، فلم يكلفنا بصيام العام كله ولا بأكثره، وإنما هو شهر واحد، ولم يقل شهرًا أو ثلاثين يومًا تسهيلاً على العباد، بعد كل هذا طلب منهم أن يسألوه ويطلبوه منه ما أرادوا، ووعدهم بأنه سيستجيب لهم وكأنه يهمس لهم في آذانهم، كما استجيب لكم استجيبوا لي بفعل ما أمرتكم به من الصيام وغيره: {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ}(٤).

أما عن سبب النزول الشهير الذي يوهم بانفصال الآية عن السياق القرآني الوارد عن أبي حاتم والذي أوردته سابقًا في سبب نزول الآية، وهو: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أقريب ربنا ..."، فهو حديث ضعيف جدًا.

كما قال الشيخ أحمد شاكر في حاشية تفسير الطبري(٥)، ومن قبله قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي: في سنده اضطراب، وقال ابن حجر في سنده ضعف(٦).

(١) سورة البقرة، من الآية ٢١٦.
(٢) سورة الأنعام، من الآية ٢١.
(٣) سورة البقرة، من الآية ١٨٤.
(٤) سورة البقرة، من الآية ١٨٦.
(٥) توضيح المُشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي (٤٣٧/٤).
(٦) العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني (٤٣٤/١)، ط. ١، ١٩٩٧م.

الموضع الحادي عشر

قال تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[١]

جاءت هذه الآية بعد الآيات التي تتحدث عن الصيام وأحكامه، ولا تبدو في الظاهر صلة معنوية بينهما، وأرى أن الصلة بينهما تكون في العطف الموجود في هذه الآية؛ لأن العطف يفيد المشاركة بينهما في النهي عن محظورات يحرم الاقتراب منها، فقد انتهت الأولى بقوله تعالى: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا}[٢]، فجاءت الثانية لتبين أن من حدود الله التي لا تقربوها أكل أموال الناس بالباطل.

وأيضًا ربما تكون الصلة بين هذه الآية وبين قوله: {وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ}[٣]، لأنهما تناولا أعظم شهوتين يضعف الإنسان أمامهما، وهما النساء والمال. وقد جاءتا بعد الصيام الذي هو امتناع عن المباح والحلال ابتغاء مرضاة الله؛ لأن من عود نفسه الامتناع عن الحلال، كان أقدر على الامتناع عن الحرام.

وأيد هذا الإمام أبو حيان، حيث قال: "ومُناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، وذلك أن مَنْ يعبد الله- تعالى- بالصيام فحبس نفسه عما تعوده من الأكل والشرب والمباشرة بالنهار، ثم حبس نفسه بالتقييد في مكان يعبد الله صائمًا، ممنوعًا من اللذة الكبرى بالليل والنهار جدير ألا يكون مطعمه ومشربه إلا من الحلال الخالص الذي ينور القلب ويزيده بصيرة، فلذلك نهى عن أكل الحرام المقضي به إلى عدم قبول عبادته من صيامه واعتكافه"[٤].

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٨.
(٢) سورة البقرة، من الآية ١٨٧.
(٣) سورة البقرة، من الآية ١٨٧.
(٤) البحر المحيط (٥٥/٢).

وعلى هذا فإن هذه الآية تتناسب مع ما قبلها شكلاً ومضمونًا، شكلاً من حيث عطف النهي على النهي، ومضمونًا لأن الصوم يعتبر تدريبًا للنفس على منعها عن الشهوات المباحة، وهذا يعتبر مقدمة لمنعها من الشهوات المحرمة والتي أهمها المال الحرام.

وقد أكد هذا المعنى أيضًا الإمام الآلوسي حيث قال: "ولما ذكر ﷻ الصيام وما فيه، عقبه بالنهي عن الأكل الحرام المفضي إلى عدم قبول عبادته من صيامه واعتكافه، فقال: {وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ}"(١).

وأيد هذا صاحب التحرير والتنوير قائلاً: "والمُناسبة أن قوله: {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا}، تحذير من الجرأة على مخالفة الصيام بالإفطار غير المأذون فيه، وهو ضرب من الأكل الحرام، فعطف عليه أكل آخر محرم، وهو أكل المال بالباطل، والمشاكلة زادة المُناسبة قوة، هذا من جملة عداد الأحكام المشروعة لإصلاح ما اختل من أحوالهم في الجاهلية، ولذلك عطف على نظائره، وهو مع ذلك أصل تشريع عظيم للأموال في الإسلام"(٢).

وقد ذكر الإمام البقاعي هذه الصلة، ثم نبه إلى صلة أخرى بين النهي عن أكل أموال الناس بالباطل وما قبله، وهي أنه قد سبق الحديث في سورة البقرة عن تحريف أهل الكتاب لكتبهم ليشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً، وكان مما أخفوه تحريم الرشوة حتى استباحوها وصارت بينهم شرعًا مُتعارفًا(٣).

(١) روح المعاني (٤٦٦/١).
(٢) التحرير والتنوير (١٨٧/٢).
(٣) ينظر: نظم الدرر (٩٣/٢)، بتصرف.

الموضع الثاني عشر

قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ البِرُّ بِأَن تَأْتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[1].

وهذه الآية قد تخفى صلتها بما قبلها؛ لأنه لم يسبق للأهلة أو للحج ذكر في سورة البقرة، وتكمن المُناسبة في أن قوله في الجواب {قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ} يومئ إلى صلة الآية بما قبلها في ضمن الحديث عن فائدة الأهلة، وأنها لأجل بيان المواقيت التي يوقت الناس بها عباداتهم ومعاملاتهم كالصوم، والعدة؛ لأن رؤية الهلال لابد منها لابتداء الصوم، وهذا المفهوم ذكره الإمام البقاعي قائلاً: وجاء على طريق الاستئناف جوابًا لِمَنْ كأنه قال هل سألوا عن الأهلة؟ فقيل نعم، وذلك لتقدم ما يثير العزم إلى السؤال عنها"[2]، وهذه المُناسبة تعتبر قريبة.

وذهب البعض من المُفسرين إلى مُناسبة أبعد في السياق ومنهم الإمام أبو حيان، وخلاصة قوله أنه قد تقدم الكلام في سورة البقرة عن أركان الإسلام من توحيد وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}، {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ}، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ}، فأكمل الأركان وذكر الركن الخامس"[3].

وأرى أن الخفاء في هذه الآية يكون في داخلها؛ وذلك بين قوله: {وَلَيْسَ البِرُّ بِأَن تَأْتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا}، وبين قوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}، فأي مُناسبة بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت، وقد اجتهد العلماء في بيان هذه المُناسبة، فقال الإمام الرازي إن هذه المُناسبة لها عدة وجوه:

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٩.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٩٨/٣).
(٣) ينظر: البحر المحيط (٦٣/٢).

الوجه الأول: حمل الآية على سبب النزول[١]، إلا أنه على هذا التقدير كيف يكون نظم الآية، فإن القوم سألوا رسول الله ﷺ عن الحكمة في تغير نور القمر، فذكر الله تعالى الحكمة في ذلك، وهي قوله: {قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}، فأي تعلق بين بيان الحكمة في اختلاف نور القمر، وبين هذه القصة؟، ثم القائلون بهذا القول أجابوا عن هذا السؤال من عدة وجوه:

أحدهما: أن الله تعالى لما ذكر أن الحكمة في اختلاف أحوال الأهلة جعلها مواقيت للناس والحج، وكان هذا الأمر من الأشياء التي اعتبرها في الحج لا حرج تكلم الله فيه.

وثانيها: أنه تعالى إنما وصل قوله: {وَلَيْسَ البِرُّ بِأَن تَأْتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا}، بقوله {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ}، لأنه إنما اتفق وقوع القصتين في وقت واحد فنزلت الآية فيهما معًا في وقت واحد ووصل أحد الأمرين بالآخر.

وثالثها: كأنهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال الأهلة، فقيل لهم: اتركوا السؤال عن هذا الأمر الذي لا يعنيكم وارجعوا إلى البحث عن ما هو أهم لكم، فإنكم تظنونه في إتيان البيوت من ظهورها وليس الأمر كذلك.

الوجه الثاني: أن قوله تعالى: {وَلَيْسَ البِرُّ بِأَن تَأْتُوا البُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا}، مثل ضربه الله تعالى لهم وليس المراد ظاهره، وتفسيره أن الطريق المستقيم المعلوم هو أن يستدل بالمعلوم على المظنون، فأما أن يستدل المظنون على المعلوم، فذلك عكس الواجب وضد الحق، فجعل إتيان البيوت من ظهورها كناية عن العدول عن الطريق الصحيح، وإتيانها من أبوابها كناية عن التمسك بالطريق المستقيم".

(١) وسبب النزول هو أنه في أول الإسلام كان إذا أحرم الرجل منهم، فإن كان من أهل المدن نقب في ظهر بيته نقبًا يدخل منه ويخرج، أو يتخذ سلمًا يصعد به سطح داره، ثم يتحلل، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الباب، وقيل لهم: ليس البر بتحرجكم عن دخول الباب، ولكن البر مَنْ اتقى"، ينظر: مفاتيح الغيب (٢٨٠/٥)، وأسباب النزول للواحدي، ص ٩٨.

الوجه الثالث: أن المراد من هذه الآية ما كانوا يعلمونه من النسيء فإنهم كانوا يخرجون الحج عن وقته الذي عينه الله لهم فيحرمون الحلال ويحلون الحرام، فذكر إتيان البيوت من ظهورها مثل لمُخالفة الواجب في الحج شهور"[١].

ويقول الإمام الزركشي: "فقد يقال أي رابط بين أحكام الأهلة وبين حكم إتيان البيوت؟ والجواب عنه من وجهين:

الأول: عندما سألوا عن الحكمة في تمام الأهلة ونقصانها قيل لهم: كل ما يفعله الله فيه حكمة ومصلحة للعباد، فدعوا السؤال عن هذا وانظروا فيما تفعلونه أنتم من إتيان البيوت من ظهورها، مما ليس من البر في شئ وأنتم تحسبونه برًا.

الثاني: أن الجملة المنفية (وليس البر) جاءت على سبيل الاستطراد لمواقيت الحج تنبيهًا على خطأ كانوا يفعلونه في أثناء الحج من دخول البيوت من ظهورها"[٢].

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٨٠/٥)، باختصار.

(٢) البرهان في علوم القرآن (٤٠/١).

الموضع الثالث عشر

قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ المِهَادُ}[١]

وردت هذه الآيات بعد حديث القرآن عن مناسك الحج، وهي من المواضع التي تشكل مُناسبتها لما قبلها، فما صلة هذا الصنف من الناس بمناسك الحج وذكر الله؟

اجتهد المُفسرون في إيجاد هذه المُناسبة، فقال الإمام الرازي: "اعلم أنه تعالى لما بين أن الذين يشهدون مشاعر الحج فريقان: كافر وهو الذي يقول {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا}، ومسلم وهو الذي يقول {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً}[٢]، بقي المنافق فذكره في هذه الآية، وشرح صفاته وأفعاله، فهذا وما يتعلق بنظم الآية والغرض بكل ذلك أن يبعث العباد على الطريقة الحسنة فيما يتصل بأفعال القلوب والجوارح، وأن يعلمون أن المعبود لا يمكن إخفاء الأمور عنه"[٣].

ويغير الإمام البقاعي منهجه، فلا يبحث عن المُناسبة القريبة، بل يذهب إلى أبعد من هذا في إيجاد المُناسبة فيقول: "أنه لما قال ﷻ بشأن المنافقين في صدر سورة البقرة {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ}[٤]، وأراد أن يعيد الحديث عنهم قال: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ}، فينضم هذا إلى ذلك، فكأنه يقول: إن أردت مثلاً لهؤلاء فإليك هذا الذي تتحدث عنه الآية وهو الأخنس بن شريق[٥]، وهو لم يثبت أنه أسلم[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ٢٠٤ . ٢٠٦.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٠١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٨.

(٤) مفاتيح الغيب (٣٤٣/٥)، وينظر: روح المعاني للآلوسي (٤٩٠/١)، والتحرير والتنوير (٢٦٥/٢ . ٢٦٦).

(٥) نظم الدرر (١٦٨/٣).

(٦) المحرر الوجيز ص ١٨١.

الموضع الرابع عشر

قال تعالى: {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ}(١)

جاءت هذه الآية بعد ذكر مناسك الحج، وذكر أصناف الناس، والذين منهم صنف مُنافق مُخادع هددهم الله بقوله: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ}(٢)، فما الصلة بينهما؟.

اجتهد المُفسرون في إيجاد المُناسبة، فقال الإمام البقاعي: "إن قوله تعالى: {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ} استئناف بياني، وكأن المستمع عندما يسمع قوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ}، يسأل كيف يكون هذا العقاب العجيب، فكان الجواب {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ}"(٣)، فهم أعرف الناس به، وقد عاينه أجدادهم عندما هددهم الله بمثله وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ}(٤).

إذن الإمام البقاعي قد حصر الصلة في الآية بالمجاورة.

وقد تكون الصلة إلى أبعد من ذلك بأن يكون بين هذه الآية وبين قوله : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}(٥)، وذلك على دخول بعض بني إسرائيل في نداء الذين آمنوا بتأويل خاص، فإن المنادي الذين آمنوا يمكن أن يتسع ليشمل المؤمنين الصادقين، والمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم، ومَنْ آمن من اليهود وكان منهم مَنْ تعلق بدينهم القديم، فيكون المعنى ادخلوا في السلم كافة ولا تخلطوا به غيره".

ويكون الخطاب على هذا قد تحول من مؤمني اليهود {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} إلى الحديث عن عامة بني إسرائيل(٦).

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢١١.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢١٠.

(٣) نظم الدرر (١٨٦/٣).

(٤) سورة الأعراف، من الآية ١٧١.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٠٨.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٤٧/٥)، وروح المعاني (٤٩٢/١)، والمحرر الوجيز ص ١٨٣.

الموضع الخامس عشر

قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}(١)

وهذه الآية في ظاهرها لا تبدو بينها وبين ما قبلها مُناسبة ظاهرة، فقبلها قوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ}(٢)، ولكن إذا أمعنا النظر في السياقات السابقة من سورة البقرة نجد الصبر في البأساء والضراء وحين البأس من البر والإحسان وصفة من صفات المؤمنين الصادقين الواردة في قوله تعالى: {لَيْسَ البِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ}(٣).

وأشار الإمام الرازي إلى وجه المُناسبة قائلاً: "في النظم وجهان أنه تعالى قال في الآية السالفة: {وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}(٤)، والمراد أنه يهدي مَنْ يشاء إلى الحق وطلب الجنة، فبين في هذه الآية أن ذلك الطلب لا يتم ولا يكمل إلا باحتمال الشدائد في التكليف، فقال: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم}.

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٤.
(٢) سورة البقرة، من الآية ٢١٣.
(٣) سورة البقرة، الآية ١٧٧.
(٤) سورة البقرة، من الآية ٢١٣.

الثاني: أنه في الآية السالفة لما بين أنه هداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه بين في هذه الآية أنهم بعد تلك الهداية احتملوا الشدائد في إقامة الحق وصبروا على البلوى، فكذا أنتم يا أصحاب محمد ﷺ لا تستحقون الفضيلة في الدين إلا بتحمل هذه المحن.

وأوضح الإمام البقاعي العلاقة بين هذه الآية وما قبلها قائلاً: "ولما أفهم ما صرح به الكلام السابق من الاختلاف في وقوع العداوات وكان في العداوات خطر الأموال والأنفس، وكان ذلك أشق ما يكون، وكانت العادة قاضية بأن المدعوين إلى ذلك إن لم يصمموا على الآيات كانوا بين مستثقلين لأمر الرسل يرون أنهم يفرقون ما اتفق من الكلمة ورضي به الناس لأنفسهم ويشقون أمرهم مستثقلين لطول انتظار الانتصار وكان حالهم حال مَنْ يطلب الراحات في ذُري الجنات بلا مُشقات؛ وذلك محال ومحض ضلال، فإن الثبات على الصراط المستقيم لا يكون إلا باحتمال شدائد التكليف، فكان كأنه قيل في جواب ذلك عدولاً عن خطاب النبي ﷺ المقول له {سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ} إلى خطاب الأتباع تشريفًا له عن ذلك ورفعًا لهممهم بالمواجهة بالخطاب والناس مِمَنْ مضى من أولي الألباب تنشيطًا لهم وتقوية لعزائمهم أحسبتم أنا لا نرسل الرسل لتمييز الخبيث من الطيب؟، أم حسبتم بعد إرسالهم أن الأمر هين بأن تنالوا السعادة بلا اجتهاد في العبادة"؟[1].

(١) نظم الدرر (٣/٢٠٤).

الموضع السادس عشر

قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}(١).

هذه الآية وقعت بين آيات تتحدث عن الحث على الجهاد والقتال في سبيل الله وبين الحديث عن مشقات الجهاد وجزاء الصبر عليها {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم}(٢)، وبين التصريح بالقتال والأمر به {كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ}(٣).

إذًا فما مُناسبة الحديث عن النفقة ومصارفها والحديث عن الجهاد والقتال؟، وتتضح المُناسبة من عدة وجوه:

١. أن قوله تعالى {قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}، يتحدث بالفعل عن الإنفاق، لكنه ألمح إلى القتال في نهاية الآية، حيث قال: {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ}؛ لأن الخير وإن اشتمل على وجوه كثيرة من البر، فإنها تلمح أساسًا في هذا السياق إلى القتال بدلالة ما بعدها مباشرة {كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ} وإذا ضم بداية الآية التي معنا مع ما بعدها لرأينا أن كلمة خير ذكرت مرتين وقد أحاطت بالقتال إشارة إلى دخول الإعداد للقتال في باب النفقة، ودخول النفقة في باب الإعداد للقتال الذي يتطلب من ذوي الأموال السماحة، وبذلً يُكافئ بذل النفوس لإقامة الحق ودفع الظلم وتحقيق الأمن.

٢. أن الإنفاق مرتبط بالجهاد؛ لأن التضحية بالنفس والتضحية بالمال لا ينفكان(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٥.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢١٤.

(٣) سورة البقرة، من الآية ٢١٦.

(٤) ينظر: نظم الدرر (٢٨٣/٣)، ومفاتيح الغيب (٣٥٦/٥)، والتحرير والتنوير (١٩٧/٢).

الموضع السابع عشر

قول تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}(١)

جاءت هذه الآية بعد الحث على القتال بصفة عامة، وعلى القتال لدفع العدوان في الشهر الحرام خاصة، ثم بينت أن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله هم الذين يرجون رحمة الله، ثم وقع السؤال عن الخمر والميسر، فأي مُناسبة بين هذا وهذا؟

وعندما نتدبر هذه الآيات نصل إلى مُناسبة رائعة بينها، وهي أن تشريعات الإسلام كلها متوالية بؤازر بعضها بعضًا في صلاح المجتمع الإسلامي، ويعاون بعضها بعضًا في الحفاظ على الحياة والعقل، ولا يمكن لشارب الخمر أن يقاتل في سبيل الله.

وترك الخمر والميسر يحتاج إلى قوة نفسية وإيمان قوي، وهذا ما يحتاجه القتال في سبيل الله.

فإن الحث على ترك الخمر والميسر {وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا}، بعد قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ}(٢)، ينبئ عن حاجة التخلي عن الخمر والميسر إلى مجاهدة نفسية عظيمة(٣)، وهنا تظهر المُناسبة.

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٩.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢١٨.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٣٥٩/٥)، والتحرير والتنوير (٢٠٥/٢).

الموضع الثامن عشر

قوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ}(١).

هاتان الآيتان وردتا في سياق مُمتد يتحدث عن أمور كثيرةٍ من أحوال الأسرة المسلمة، من حيث الزواج والطلاق والرجعة والإرضاع والنفقة، والكسوة والمتعة والصداق ... وغير ذلك. وقد وردتا هاتان الآيتان تحديدًا بين آيات الطلاق وآيات العدة في قوله: {لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى المُحْسِنِينَ * وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(٢).

وهذا السياق المتصل على الطلاق والعدة يوهم انقطاع السياق بهاتين الآيتين عند متعجل النظر.

ولذلك حاول المُفسرون أن يكشفوا عن وجه المُناسبة بين هاتين الآيتين، وبين السياق الذي وردتا فيه. وقد تمخضت هذه المحاولات عن آراء مختلفة للمفسرين، منها ما ذكره الإمام البيضاوي، حيث قال: "ولعل الأمر بها في تضاعيف أحكام الأولاد والأزواج، لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها"(٣)، ولعله جاء بهذا الربط لأن الله ﷻ قد حذرنا في آيات عدة من فتنة الأولاد والأزواج،

(١) سورة البقرة، الآيتان ٢٣٨ . ٢٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآيات ٢٣٦ . ٢٤٠.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥٣٦/١).

من ذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(١).

وقوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}(٢).

فحتى لا تضيع الصلاة حين الشدائد، وخاصة الشدائد الخاصة بالأزواج والأبناء فتنسى في زحمة الأيام ومعترك مصاعبها أمر الله بالمحافظة عليها في هذا السياق.

وقريب من كلام الإمام البيضاوي ما ذكره الإمام أبو السعود، حيث قال: "ولعل الأمر بها في تضاعيف بيان أحكام الأزواج والأولاد قبل الإتمام؛ للإيذان بأنها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها والمُثابرة عليها من غير اشتغال عليها بشأنهم، بل بشأن أنفسهم أيضًا، كما يُفصح عنه الأمر بها في حالة الخوف؛ ولذلك أمر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الأحكام الشرعية المُتشابكة الأخذ بعضها بحجز بعض"(٣).

يعني هذا أنه مهما كانت شواغل المسلم ومشاكله مع الأزواج والأولاد وغيرهم، فلا ينبغي أن يصرفه شئ من ذلك عن الصلاة في وقتها.

وليعلم أنه بالمحافظة على الصلوات يضمن الحياة الآمنة للأسرة المسلمة، حتى تقل أسباب النزاع، ولا يكون هناك مجال للطلاق الذي غلب ذكره في هذا السياق، كما أن الصلاة صلة بين العبد وبين مولاه، وبالاستمرار عليها لا يترك الإنسان فرصة لتدخل الشيطان في حياته وتهييج الشر بينه وبين زوجته لأتفه الأسباب، يقول الإمام البقاعي: "إن الطلاق الناتج عن الاشتجار بين الأزواج إنما وقع من تضييع المحافظة على الصلوات؛ لأن الصلاة بركة في الرزق، وسلاح على الأعداء، وكراهة الشيطان، فهي مانعة ودافعة للأمور التي منها تتضايق الأنفس وتقبل الوسواس، ويطرقها الشبح،

(١) سورة التغابن، الآية ١٤.
(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٨.
(٣) إرشاد العقل السليم (٢٣٥/١).

فكان الأمر بالمحافظة على الصلوات في أثناء تلك الأحكام، لتجري أمورهم على سداد يغنيهم عن الارتباك في جملة هذه الأحكام"(١).

وهذا الوجه فطن له الإمام الآلوسي، وجعله يتمثل في وجه الصلة بين هذه الآية وبين تذييل الآية السابقة، وهي قوله تعالى: {وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ}(٢)، فقال رحمه الله: "ولعل الأمر بها عقب الحض على العفو، والنهي عن ترك الفضل؛ لأنها تهيئ النفس لفواضل الملكات، لكونها الناهية عن الفحشاء والمُنكر، أو ليجمع بين التعظيم لأمر الله تعالى على خلقه"(٣).

ثم أحكم الطاهر بن عاشور هذا الوجه من المُناسبة وزاده وضوحًا وبيانًا، فقال رحمه الله: "جاءت هذه الآية مرتبطة بالتذييل الذي ذيلت به الآية السابقة وهو قوله: {وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ}، فإن الله دعانا إلى خلق حميد، وهو العفو عن الحقوق، ولما كان ذلك الخلق قد يعسر على النفس لما فيه من ترك ما تحبه من المُلائم من مال وغيره، كالانتقام من الظالم، وكان في طباع الأنفس الشح، علمنا الله تعالى دواء هذا الداء بدوائين، أحدهما دنيوي عقلي، وهو قوله: {وَلاَ تَنسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ} المذكر بأن العفو يقرب إليك البعيد، ويصير العدو صديقًا، وأنك إن بغوت فيوشك أن يقترف ذنبًا فيعفى عنك، إذا تعارف الناس الفضل بينهم، بخلاف ما إذا أصبحوا لا يتنازلون عن الحق، والدواء الثاني أخروي روحاني: وهو الصلاة التي وصفها الله تعالى في آية أخرى بأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر"(٤).

ومن أوجه مُناسبة وضع آية المحافظة على الصلاة بين آيات الأسرة أن الصلاة أعظم مُعين على تحمل مشاق الحياة ومتاعبها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بْالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}(٥).

(١) نظم الدرر (٣٦٠/٣).
(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٣٧.
(٣) روح المعاني (٥٤٨/١).
(٤) التحرير والتنوير (٤٦٦/٢).
(٥) سورة البقرة، الآية ١٥٣.

فالاستجابة لأمر الله في كافة شئون الحياة لا تتأتى إلا بعد المحافظة على الصلاة، فمَنْ حفظها وحافظ عليها حفظ دينه وزوجه وولده، كما أن المحافظة على الصلاة تعين على قبول التكاليف وترد في النفوس، قال تعالى: {إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا * إِلاَّ المُصَلِّينَ}(١)، كما أن الصلاة فيها خشوع وخضوع، والله ﷻ يريد أن يرفق الرجل بزوجه ولا يتجبر عليها، والصلاة فيها استغفار، والله ﷻ يريد لكل من الزوجين أن يغفر للآخر حتى تعيش الأسرة المسلمة في سعادة وسرور.

ولكن يبقى هنا سؤال مهم، لماذا خصصت الصلاة الوسطى بالذكر، في هذه الآية بعد ذكر الصلاة على وجه العموم؟ لابد وأن يكون في الحفاظ عليها حفاظ على الأسرة وصون للأمة من التشتت والدمار.

وبعد مُراجعة أقوال العلماء في تحديد الصلاة الوسطى اتضح أن الراجح من أقوالهم أنها صلاة العصر، وقد حثنا النبي ﷺ على الحرص على أدائها على وجه الخصوص، وحذرنا من التغافل عنها، فقال ﷺ الذي تفوته صلاة العصر، كأنما وتر أهله وماله(٢)، ويظهر لي مُناسبة لطيفة تربط بين تخصيص الصلاة الوسطى (صلاة العصر) بالذكر في ثنايا الحديث عن أحكام الطلاق، ومفادها أن وقوع الطلاق يقضي على ارتباط الأسرة ويفصم عرى تلك الرابطة، كذلك الحال فيمن يتهاون في أداء صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله، بل إن الذي يغفل عنها همه أكبر ومصيبته أعظم؛ لأن الموتور يجتمع عليه همان: هم ذهاب أهله وهم الطلب بثأره ووتره، ولا شك أن في ذلك إشارة إلى أن المحافظة على الصلوات وصلاة العصر خاصةً، مما يحفظ الأهل والمال.

(١) سورة المعارج، الآيات ١٩ . ٢٢.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب مواقيت الصلاة، باب إثم من فتنة صلاة العصر، حديث رقم ٥٥٢ (١/١١٥).

الموضع التاسع عشر

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ}(١)

جاءت هذه الآية بعد الحديث عن الخطبة والنكاح والطلاق، فأي صلة بين هذه الآيات والآية التي معنا؟، وقد أشكلت هذه الآية على بعض المُفسرين حتى سكتوا عن ذكر المُناسبة، والبعض ذكرها بصفة عامة، من هؤلاء الإمام البقاعي حيث قال: "ولما انقضى ما لابد منه مما سبق بعد الإعلام بفرض القتال المكروه للأنفس من تفصيل ما أحمل في ليل الصيام من المشارب والمناكح وما تبعها، وكان الطلاق كما سلف كالموت وكانت المراجعة كالإحياء، وختم ذلك بالصلاة حال الخوف الذي أغلب صوره الجهاد، ثم بتبيين الآيات أعم من أن تكون في الجهاد أو غيره عقب ذلك بقوله دليلاً على آية كتب القتال المحثوث فيها على الإقدام على المكاره لجهل المخلوق بالغايات"(٢)، فقال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوْتِ}.

وأورد الإمام الرازي مُناسبة خاصة في مُحاولة للربط بين قصة الملأ وبين أحكام الأسرة، فقال: إعلم أن عادة القرآن أن يذكر بعد بيان الأحكام القصص ليفيد الاعتبار للسامع، ويحمله ذلك الاعتبار على عدم التمرد والعناد، ومزيد الخضوع والانقياد، فقال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ المَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ}"(٣).

(١) سورة البقرة، الآية ٢٤٣.
(٢) نظم الدرر (٣٨٦/٣).
(٣) مفاتيح الغيب (١٦١/٦).

ومن الممكن أن يكون الارتباط من خلال الوحدة الموضوعية للسورة، فقد سبق الحديث عن بني إسرائيل في السورة في عدة مواضع منها، ثم عاد إلى الحديث عنهم مرة أخرى، وهذا نوع من إعجاز القرآن لأن القارئ لا يشعر بعدم اتصال بينها على رغم بُعد المسافات.

الموضع العشرون

قال تعالى: {اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ}(١).

بالنظر في هذه الآية قد يبدو عدم وجود صلة بينها وبين ما قبلها، حيث تحدثت الآية قبلها عن الإنفاق، وبالتدقيق والتحري والبحث وجدت أن المُناسبة هي:

١. أن الله لما ذكر أمورًا عن الغيب لا يعلمها إلا هو مثل مواقف بني إسرائيل المخزية من الإسلام، وفضح المنافقين، كان ذلك سببًا في استشراق القلوب إلى معرفة حقيقة العليم الخبير المطلع على كل الخفيات، ثم كشفها، وهذا نوع من الاستئناف البياني الذي جاء بعد قصص كثيرة في سائر السور مثل {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(٢)، {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بَالظَّالِمِينَ}(٣)، فكان قوله {اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ} بمنزلة الجواب من كل هذه التساؤلات.

٢. أن الله ﷻ لما ذكر في الآية اختلاف الناس من بعد ما جاءتهم البينات حول عبادة الله وحده، فمنهم مَنْ آمن ومنهم مَنْ كفر {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.
(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٣١.
(٣) سورة البقرة، من الآية ٢٤٦.

ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}[١]، أتى بما يؤكد وحدانية الله وانفراده بالقيومية والملك والتفرد وجميع الكمالات[٢].

الموضع الواحد والعشرون

قال تعالى: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[٣]

وقد وقع الحديث قبل هذه الآية عن الإنفاق فأي صلة بينهما؟.

والمُناسبة بين هذه الآية وما قبلها أشار إليها الإمام البقاعي حيث قال: "ولما كان سبحانه وتعالى قد ذكر النفقة مما أفاض عليهم من الرزق من أول السورة إلى هنا في غير آية، ورغب فيها بأنواع من الترغيب في فنون من الأساليب، وكان الرزق يشمل الحلال والحرام، وكان مما يسترزقون به قبل الإسلام الربا، وهو أخذ مجانًا، وهو في الصورة زيادة، وفي الحقيقة نقص وعيب، ضد ما تقدم الحث عليه من الإعطاء مجانًا، وهو في الظاهر نقص وفي الباطن زيادة وخير، نهاهم عن تعاطيه ونفرهم منه، وبين لهم حكمه، وأنه خبيث لا يصلح لأكل ولا صدقة، وجعل ذلك في أسلوب الجواب لمَنْ قال هل يكون النفقة المحبوبة المحثوث عليها من كل مال؟ فأجاب بقوله: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ}[٤].

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٣.
(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٦٠٥/٢).
(٣) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.
(٤) نظم الدرر (٤٠٠/٣).

قال الإمام الفخر: اعلم أن بين الربا وبين الصدقة مُناسبة من جهة التضاد؛ وذلك لأن الصدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب أمر الله بذلك، والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهي الله عنه، فكانا مُتضادين؛ ولهذا قال الله تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ}(١)، فلما حصل بين هذين الحكمين هذا النوع من المُناسبة، لا جرم ذكر عقيب حكم الصدقات حكم الربا.

إذًا فالوجه الآخر المقابل للصدقة التي عرض دستورها في الدرس الماضي الوجه الكالح الطالح هو الربا! الصدقة عطاء وسماحة، وطهارة وزكاة، وتعاون وتكافل، والربا شح وقذارة ودنس، وأثرة وفردية.

والصدقة نزول عن المال بلا عوض ولا رد، والربا استرداد للدين ومعه زيادة حرام مقطعة من جهد المدين أو من لحمه، من جهده إن كان قد عمل بالمال الذي استدانه فربح نتيجة لعمله هو وكده، ومن لحمه إن كان لم يربح أو خسر، أو كان قد أخذ المال للنفقة منه على نفسه وأهله ولم يستربحه شيئًا.

ومن ثم، فهو . الربا . الوجه الآخر المقابل للصدقة، الوجه الكالح الطالح! لهذا عرضه السياق مباشرة بعد عرض الوجه الطيب السمح الطاهر الجميل الودود!.

وضعاف الإيمان فضلاً عن المُنافقين والكافرين، دائمًا وأبدًا يرون أن الإنفاق ينقص المال ولا يزيده، والربا يزيده، فلما تكلم في الآية السابقة عن الإنفاق ومدح في المنافقين، جاءت هذه الآية لتذم الربا وأهله وتبين آثاره السيئة(٢).

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٧٦.
(٢) مفاتيح الغيب (١٩٧/٦).

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فبعد هذه الدراسة الماتعة التي عشت في رحابها مع آيات سورة البقرة، تلك الآيات التي خفيت مُناسبتها، ها أنا ذا أحط الرحال لأبسط رداء الفضل الذي جاد عليّ به الله ﷻ فأجمل ما فصلته، وأذكر أهم ما توصلت إليه من نتائج، والتي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١. علم المُناسبات يُعين على الفهم السليم للقرآن الكريم، وهذا يدعو للاهتمام بهذا العلم.
٢. المُناسبات في القرآن الكريم منها ما هو ظاهر جلي، ومنها ما هو خفي يحتاج إلى شدة تأمل وزيادة تفكر، ولهذا يجب الحذر من التسرع في تلمس إظهار التناسب.
٤. علم المُناسبات في القرآن الكريم يؤكد أن ترتيب السور والآيات توقيفي.
٥. توصلت إلى الوحدة الموضوعية في سورة البقرة ومحورها الرئيسي وهو الاستسلام لله.
٦. أن أبرز من اهتم ببيان المُناسبات في القرآن الكريم من المُفسرين الإمام البقاعي والإمام الرازي والإمام أبو السعود والإمام الآلوسي والإمام الطاهر بن عاشور.
٧. في هذا البحث إضافة جديدة في مجال الدراسات القرآنية المتخصصة في رد الشبهات التي تُثار حول القرآن الكريم، ونحن في هذا العصر في أمس الحاجة للدراسات الأكاديمية المتخصصة التي تقف بالتصدي لكل ما يُثار حول ديننا الحنيف.

٨. الكشف عن بعض وجوه الإعجاز الجديدة للقرآن الكريم التي يتأكد من خلالها أن هذه الآيات الواردة في سورة البقرة شأن بقية القرآن في اتساق المعاني.

٩. أن الآية القرآنية قد تحتمل أكثر من وجه في بيان ارتباطها بما قبلها وما بعدها، فلا تزال دائرة الدلائل فيه تتسع وتتنوع، ولا يزال مجال الأخذ منه يتراحب، وصدق الله العظيم إذ يقول: {قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}(١).

١٠. الاتصال بين آيات القرآن الكريم متحقق لا محالة، والتناسب بين جميع آياته كائن لا شك فيه، لكن بيانه والإفصاح عنه قد يحتاج في بعض الأحيان إلى مزيد من التدبر والتأمل في السياق الخاص للآيات، ومراجعة أسباب النزول الواردة فيها، والنظر في السياق العام للسورة ومحاولة الربط بينهما، وقد يحتاج الأمر إلى استعراض الآيات المُماثلة لها في الغرض العام في محاولة للكشف عن خبئ العلاقات وخفي المُناسبات.

وفي الختام أسجل قصوري وعجزي عن إدراك أسرار بيانه ﷻ، وهل يُدرك المرء من آثار الشمس غير الضوء والحرارة؟. وهل يعلم من أسرار الروض غير العطر والنضارة؟ وهل يجد في نفسه من أغوار البحر غير الشعور بالجلالة والروعة؟(٢)، فالله أسأل أن ينفعنا بالقرآن في الدنيا والأخرى. وأن يجعلنا في زمرة الذين قال النبي ﷺ فيهم: (يحمِلُ هذا العِلمَ مِنْ كلِّ خلَفٍ عدولُه، يَنْفونَ عنهُ تأويل الجاهِلينَ، وانْتِحالَ المُبْطِلينَ، وتَحْريف الغالينَ)(٣)، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سورة الكهف، الآية ١٠٩.

(٢) وحي الرسالة للأستاذ/ أحمد حسن الزيات (١٠٥/٣).

(٣) مشكاة المصابيح، كتاب العلم، الفصل الأول (٥٣/١)، صححه الألباني، وقال البعض إنه حديث حسن، وضعّفه البعض، ولكن لكثرة طرقه أوصله بعض العلماء إلى درجة الحسن.

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيري الأسيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ت: حامد أحمد الطاهر.
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للقاضي أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ت٩٨٢هـ، ط.١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، وضع حواشيه أ. عبداللطيف عبدالرحمن.
٤. أساس البلاغة أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري الخوارزمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ت: محمد باسل عيون السود.
٥. أسباب النزول للإمام أبي الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابوري، ت ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م، ط.٣ دار ابن كثير، دمشق – بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، حققه د. مصطفى ديب البُغا.
٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) المحقق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى سنة النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٧. أسرار أسماء سور القرآن الكريم من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف أ. د. الحسنين عبد الفتاح ص ٢٠٨، وهي رسالة دكتوراه موجودة بالمكتبة المركزية بجامعة الأزهر تحت رقم ٦٨٧٠.
٨. الانتصار للقرآن أبو بكر الباقلاني، دار الفتح، عثمان، دار ابن حزم، بيروت، ط. ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي للإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازي البيضاوي، ت ٦٨٥ هـ، ط. دار صادر، بيروت، وبهامشه حاشية العلامة أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني.
١٠.البحر المحيط في أصول الفقه للإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ت ٧٩٤هـ، ط.٢ دار الصفوة بالغردقة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، قام بتحريره د. عبد الستار أبو غُدة، وراجعه الشيخ عبدالقادر عبد الله العانى، ط. ١ دار الكتبي بالقاهرة ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.
١١.البرهان في علوم القرآن للزَّرْكَشِيِّ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر بن عبد الله المصري، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.
١٢.بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للإمام محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت ٨١٧هـ، ط.٣ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٦م، تحقيق أ. محمد على النجار، وط.٣ مكتب التراث بالقاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦، وتحقيق أ. محمد أبو الفضل إبراهيم.
١٣.التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور، ط. دار سحنون، تونس ١٩٩٧م.
١٤.تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط. ٣، مكتب دار المصطفى، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.
١٥.تفسير القرآن الحكيم . الشهير (بتفسير المنار) للإمام محمد رشيد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد ابن بهاء الدين رضا البغدادي الأصل، ت ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥م، ط.٢ دار الفكر بدون تاريخ، وط. ٤ دار المنار ١٣٧٣هـ.
١٦.تفسير القرآن العظيم للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤هـ، ط. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٧.التفسير الموضوعي، إعداد: نخبة من كبار علماء القرآن وتفسيره في هذا العصر بإشراف الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
١٨.التفسير الوسيط للقرآن الكريم لفضيلة أ.د. محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر، ط.٣ مطبعة السعادة ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩م.
١٩.توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكفاحهم للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٠.الجامع الصحيح للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت ٢٠٦ هـ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، حققه خادم الكتاب والسُنة أ. محمد فؤاد عبد الباقى.
٢١.الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفى، ت ٢٥٦هـ، ط.١ دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م.
٢٢.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ت ١٢٧٠هـ، ط.١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م. ضبطه وصححه أ. على عبدالبارى عطية.
٢٣.زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى، ت ٥٩٧ هـ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، ط. ١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.
٢٤.العجاب في بيان الأسباب، ابن حجر العسقلاني، ط. ١، ط دار ابن الجوزي، الدمام، ١٩٩٧م، تحقيق عبدالحكيم محمد الأنيس.
٢٥.فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢ هـ، ط. دار التقوى للتراث، حققه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أ. محمد فؤاد عبد الباقي، وط.١ دار الريان بالقاهرة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م، حققه أ. د. محب الدين الخطيب، وأ. قصي محب الدين الخطيب، أ. محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٦.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت ١٢٥٠ هـ، ط. دار الفكر بيروت ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م.
٢٧.القاموس المحيط محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، دار الحديث، القاهرة، ت: أنس الشامي وزكريا جابر.
٢٨.القرآن وأوهام مستشرق لمحمد حسين أبو العلا، ط. الكتاب العربي للمعارف بمصر.
٢٩.لسان العرب محمد بن مكرم الأفريقي المعروف بابن منظور، ت: ٧١١، دار صادر، بيروت.
٣٠.مباحث في التفسير الموضوعي مصطفى مسلم، ط. دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م.
٣١.مباحث في علوم القرآن مناع بن خليل القطان، ط. مكتبة المعارف، ط ٣، ٢٠٠٠م.
٣٢.مجمع الزوائد في صنع الفوائد للهيثمي، ط. دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
٣٣.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسى، ت ٥٤٦ هـ، ط.١ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م، تحقيق أ. عبد السلام عبدالشافى محمد.
٣٤.المخصص للإمام على بن إسماعيل بن سيدة، ط. ١، دار إحياء التراث ١٩٩٦م، تحقيق خليل إبراهيم جفال.
٣٥.مسند الإمام أحمد للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، ت ٢٤١ هـ، ط.١ مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، حققه د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، والشيخ شعيب الأرنؤوط.
٣٦.مسند الشاميين، للإمام الطبراني، مؤسسة الرسالة، ط. ٢، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٣٧.مُعجم مقاييس اللغة لابن فارس أبو الحسين أحمد بن فارس، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ت: عبدالسلام محمد هارون.

٣٨.مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي أبو عبد الله محمد بن عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.٣ ، ١٤٢٠هـ.
٣٩.المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ط. دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ، ت: صفوان عدنان الداودي.
٤٠.مُناسبات الآيات والسور، أحمد حسن فرحات، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٤١.مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب: محمد البشير مغلي، طبع بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
٤٢.الموافقات في أصول الشريعة للإمام أبي إسحاق الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، ت ٧٩٠هـ، ط.١ دار الكتاب الحديث، القاهرة ــ الكويت ــ الجزائر، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، شرحه وخرج أحاديثه الشيخ عبدالله دراز، وضع تراجمه أ. محمد عبد الله دراز، خرج آياته أ. عبدالسلام عبدالشافي محمد.
٤٣.نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان للشيخ عبد الحميد الفراهي، ١٢٨٠ . ١٣٤٩ هـ، ط. ١، الدائرة الحميدية، الهند، ٢٠٠٨م.
٤٤.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي إبراهيم بن على، ط. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٤٥.وحي الرسالة أحمد حسن الزيات، ط. ٦، طبعة دار الثقافة ـ بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.